

المجلة

بجدة الكبرية للعلم والفن

AKRISALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

برل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نحو العدد ٢٠ مليا

توزيعات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ رجب سنة ١٣٦٩ - ٢٤ أبريل سنة ١٩٥٠ - السنة الثامنة عشرة »

لأحد أمين ، يشبه ما كنت أجده من الشوق واللذة وأما
أقرأ « الأيام » لطف حسين : شوق ولذة من نوع غريب الطعم
والأثر لم أذوقها في حياتي الأدبية قبل هاتين المرتين في هذين
الكتابين . وليس معنى ذلك أن « حياتي » و « الأيام »
يشاركان في مذهب فني واحد ، بل معناه أنهما يشتركان في اجتناب
النفوس وامتلاك الشاعر بشيء آخر غير الفن . قد يكون ذلك
الشيء في المجال النفسي الذي يتجلى في الصدق حين يجوز
الكذب ، وفي الصراحة حيث تنفذ الكتابة ، وفي التفصيل
حيث يسهل الإجمال .

وقد يكون في الروح القوى الذي يهيمن على الكاتبين ،
فيظهر هناك في عمق الشمور ، كما يظهر هنا في عمق الفكر
وقد يكون في التصوير الدقيق البارع لتربية روحية مسختها المادة ،
وبيئة شعبية تسختها المدنية ، ولا يزال لهما في النفوس أوروبا بالقلوب
نوطة .

وقد يكون في أولئك كله ، وما أولئك كله إلا الصفات
الجمهورية التي لا بد منها للكتوب الصحيح وللكتاب الحق
عبر صادقا عن نفسك تتجاوب أنت والناس ، وانتقل أميننا
عن بيتك تتعارف أنت والطبيعة .

* * *

قال لي صديقي ذات يوم ونحن جالسان في الجمع . صابمت

« حياتي » *

« حياتي » هي حياة صديقي الدكتور أحمد أمين بك ، أنفها
الوراثة والبيئة والأفكار والظروف والخواص والأخلاق والجهود
في مدى أربع وستين سنة ، بغامت فصلا متميزا من كتاب
الحياة العام . وقليل من الناس من ينهيا بفطرتة وعبقريته ليكون
مادة من مواد هذا الكتاب . أما الأكثرون فأكترهم
ينكروهم المؤلف الأعظم إنكاره للمدوم ، وأقلهم يذكرهم إملحفا
في حاشية وإما عرضا على هامش .

هذا الفصل الطويل الحفيل لخصه أحمد أمين بقله فجاء قصة
من قصص البطولة النفسية في ثلثمائة وخمسين صفحة من الحجم
اللطيف ، تقرأها وأنت ترجو ألا تشغل عنها ، وتفرغ لها وأنت
ترجو ألا تفرغ منها !

قرأتها في جلستين اثنتين على كلال بصرى ووهن أعصابي ،
فكنت كأنني أشهد بجنيالي وذهنى فلما تقافيا صيحب المناظر غتلف
الألوان جم الصور يمتع العقل والقلب جيما .

كان ما أجده من الشوق واللذة وأنا أقرأ « حياتي »

* كتاب للدكتور أحمد بك أمين لفرسه لجنة التأليف والترجمة والنشر

كما استطاع بقوة شعوره وصدق تصويره أن يحقق الفائدة للقارئ، فحُمل من تاريخ حياته تاريخ حياة مصر في الربع الأخير من القرن الماضي، والنصف الأول من القرن الحاضر، فوصف عادات كادت تزول، وسجل حوادث كادت تنسى، وصور وجوها كادت تفتيح؛ فالحال الاقتصادية بسخرتها وقسوتها وتقل ضرائبها وسوء جبايتها في قرية (سمخراط) بالبحيرة؛ كانت هي الحال في كل قرية من قرى الأقاليم. والحال الاجتماعية بطبقاتها وعاداتها واعتماداتها في (حارة العبادية) بالاشيه، كانت هي الحال في كل حارة من حارات القاهرة. والحال الشخصية بتربيتها ونفسياتها وعقليتها في نفسه وأهله وصحبه وجيرته، كانت هي الحال في كل فرد من أفراد الشعب. وإن في تصويره البيت والسقاء والمحدث والكتاب والأزهر، وفي وصفه لأبويه وأخويه، وصديقيه عبد الحكيم محمد وعلي فوزي، وأستاذه عاطف بركات ومس بور، لنماذج من البيان الطبوع الذي بشرق بنور العقل وينبض بروح الماطفة. وإن من أجل ما في الكتاب تلك البراعات الذهنية التي تبدهك بين الصفحة والصفحة في تحليل نفس، أو تمثيل حادث، أو تأثير شخص في شخص، أو موازنة حالة محالة. على أن مثل «حياتي» في انبثاقها من البيت والحارة والكتاب والأزهر، وفي تفرقها بعد ذلك في نواحي العمل ووجوه الأرض وأشتات الأمر، كتل الدرحة المظلمة، تكون عند الجذع قوية غليظة مكتنزة، تضطرب بالحياة وترتخر بالحب وتستمد غذاءها من جذورها الضاربة في جوف الثرى؛ فإذا تفرغت على ساقها انتشرت الأغصان وتسميت الأفتان فتوزعت الحياة، وتقسم الزى، وخفت الحركة، ولكن فيها مع ذلك الجمال والظلال والزهر والثمر؛ فالقسم الأول من «حياتي» كأسل الدوحة عميق وثيق مكتنز لاستمداده من أعماق النفس؛ والقسم الآخر كفروعها هنس الأفتان منبسط الجوانب لامتداده في آفاق الطبيعة.

والكتاب بعد ذلك قد كشف عن سر من أسرار الصناعة في كتابه. ذلك سر القصة. والنفس الفنانة عميقة كالكون؛ حقيقة كالأبد، فلا تنتهي أسرارها حتى ينهى الجهول، ولا تنقضي عجائبها حتى تنقضي الحياة

من الزمان

إليك بأول نسخة تخرجها الطبعة من كتابي، وسامضى فيه على رأيك ولو كلفني ذلك تفريق ما جمع وعزيق ما طبع، فأني ضيف الثقة بما عمل. فلما مضيت في الكتاب تبين لي أن ضعف الثقة في الصديق لم يأت من اشتباه الحق ولا من التباس الصواب، وإنما أتاه من اتساع المسافة في نفسه بين ما يريد وبين ما يستطيع، ومن شدة الاختلاف في رأيه بين ما يجب وبين ما يكون.

واقرا كتابي في هذا الكتاب بالذات. وفي التردد في كتابته، كثير التشكك في افادته، فهو يقول في المقدمة: «لم أتهيب شيئاً من تأليف كتاب تهيبت من اخراج هذا الكتاب؛ فإن كل ما أخرجته كان غيري الممرض وأنا الممرض، أو غيري الموصوف وأنا الواصف. أما في هذا الكتاب فأنا الممرض والممرض والواصف والموصوف. والعين لا ترى نفسها إلا بمرآة. والشيء إذا زاد قربته صعبت رؤيته. والنفس لا ترى شخصها إلا من قول عدو أو صديق، أو بمحاولة التجريد وتوزيعها على شخصيتين: ناظرة ومنظورة، رحاكة ومحكومة، وما أشق ذلك وأضناه». ... «وترددت أيضاً في نشره: ما للناس و«حياتي»؟ لست بالمياسي العظيم، ولا ذى المنصب الخطير، الذي إذا نشر مذكراته، أو ترجم لحياته، أبان عن غوامض لم تعرف، وغرائب لم تظهر، فجلى الحق وأكل التاريخ؛ ولا أنا بالمفاسر الذي استكشف بمجهول من حقائق الدم فحاول وصفه وأضاف ثروة إلى العلم، أو مجهولاً من المواطن كالحب والبطولة أو منحوماً فجلاها وزاد بماله في ثروة الأدب وتاريخ الفن؛ ولا أنا بالزعيم المصلح المجاهد، ناضل وحارب، وانتصر وأنهزم، وقام الكبراء والأمرء، أو المشهور والجهير، فرضوا عنه أحياناً، وغضبوا عليه أحياناً، وسعد وشقى، وعذب وأكرم، فهو يروي أحداثه لتكون عبرة وينشر مذكراته لتكون درساً. لست بشيء من ذلك ولا قريب من ذلك، فقيم أنشر حياتي؟»

ومع ذلك استطاع أحمد أمين بوزانة عقله ووزانة خلقه أن يقول الحق أصح ما يقال، وأن يصدر الحكم أعدل ما يصدر؛

وروعة الاخلاص المتدفق من أغوار النفوس الطيبة الزكية التي
ترفل في دنارين من الرضا والقناعة ؛ فأخذت معهم في حديث راح
بنشقة فنوناً ، وإن فيه الذنوبة والذكرى . ومضت ساعة من
زمان وأنا أرقب رجلاً منهم نقر عن الجماعة فالتحى ناحية قفا
شارك في الحديث ولا هش للجلس ، ولكنه ظل في منأى عنا
منطوياً على نفسه وعليه آثار الأذى وفيه علامات الحزن ؛ وتراوى
لى كأنه يحمل على عاتقه أعباء السنين العجاف ، وراعى أن يفتض السامر
ولما كشف عن طوايا نفسه أو انفذ إلى أعماق قلبه ، وإنى لأعرفه
فتى طروب النفس خفيف الحركة قوى العضل . . أعرفه منذ
أن كان أبى رب هذه الأرض وصاحب هذا القبط وسيد هذا
الناس ، ومنذ أن كنت أنا نصيباً أرفل في عبث الطفولة وحمافة
العيبا .

وناديته فابى وجاء يتوكأ على عصا وقد حطته السنون فيدا
هيكلا يتداعى من وهن وضف ، ثم سألته « مالك لا تنتمر في
الحديث ولا تندفع في السمر ولا تهتر للطرِب ؟ »
فقال « يا بنى ! إن أبناء المدينة لا يفهمون لغة الريف ولا
يستمرثون شكوى المظلوم »

قلت « وى كأنك نسيت أننى ابن الريف وربيه ، لم تعرفنى
عنه إلا نوازع العيش ولا دعتنى عنه إلا دواعى الوظيفة ! »
قال « واكنك جئت ترفعه عن نفسك بالذمة الهادئة ، وتامس
السكون والراحة من صخب المدينة ، فما كان لى أن أعكر صفو
الذمة بشوائب الشكوى ، ولا أن أدنس سمادة المرح بأانات الأذى
قلت « لا بأس عليك ! هات حديثك عسى أن أجد لك فرجة
من ضيق أو برءاً من سقام »
فقال فى صوت شاع فى نبرات الأذى وأذم ونانته الحزن :
« أما قصتى فهى قصة الضعف تصف به القوة المارمة ، قصة
الفقر يثبت به الثنى الجارف .

« ملك ، يانى ، لا تذكر يوم أن تركت غيظ أيبك إلى ضيمة
سمادة البك ! لقد قطعت وإنه ليقترأ لى أننى أفر من ضيق إلى
سمة ومن شغاب إلى خفض . وكنت - إذ ذاك - فتى فى الطمع
والطموح فى وقت مما . وتبيت أن الثراء المريض لا يرقق القلوب
القاسية ، وأن النعمة السابغة لا تداوى الأنفس الشح ، وأن المال

قلوب من حجر

للأستاذ كامل محمود حبيب

- ٣ -

هبت نسبات الربيع تدفنى إلى الماضى الجليل ، فحن الفؤاد
إلى مراتع الطفولة ، وصبا القلب إلى ملامى العبا ، ونزعت الروح إلى
مهاد الذكرى ، هناك فى القرية حيث الربيع الفض يمد سجره
الرفاف ، فينشر على الترى بجرأ - سدسى الحوائى ، مرح الأعطاف ،
يسم لهبات النسيم فى رقة ، ويصالحها فى لين ، ويماتها فى شوق ،
حيث الغدير العذب ينساب إلى غير غاية ، يترم بأناشيد الهوى
ويشدو بالحن الترام ، وهو يضم بين حبات قلبه صفية الحبيب :
شعاع الشمس الذهبى الذى يدفى حنايا بزفرات الشوق والحنين ؛
حيث فى شجرة التوت يتهادى ليهدهد من أنات الثور المعنى
ونواح الساقية الشجى ؛ حيث أهلى الذين أشوف لإيهم برغم أن
شواغل المال قد جرفهم فحف فيهم الحنان وذوى المعاف ونضب
الصفا ؛ حيث الفلاح الذى يئن تحت وقرين من ضنى السمل
ورقة الخال ...

وجذبنى نوازع النفس إلى القرية فطرت إليها أستجم من
عناء وأندع من كلال وأهدأ من صخب ، فخلعت أول شىء
لباس المدينة وهو ضيق يرهق الجسم ويحبس الدم ويخفق الحركة ،
ثم انطلقت وحدى إلى مكان ذى ظل وهدوء ، على أجد نفسى
وخواطرى معاً .

وتكبيك الفلاحون يميون الضيف الذى حل فى ديارم على
حين نجاة بعد سنوات من نأى كادت تمحو ورتة من الدهن ،
وتسمح سماته من الخاطر ، وتطوى تاريخه من الوعى ... الضيف
الذى نفص عنه - فى لحظة واحدة - أثر المدينة فليس ثوب الفلاح
فى غير ناعم ، واستاق على ترى أرضه فى قبر تحفظ ، وأكل طعامه
فى غير تقزز ، وشرب شرابه فى تكفى . ومستوى روعة المكان

الأخلاق الديكارتية

بمناسبة مرور ٣٠٠ سنة
على وفاة الفيلسوف ديكارت

للاستاذ محمد محمود زيتون

وجذعها الفيزيقا، وفروعها الطب والميكانيكا والأخلاق، وهو آخر مراتب الحكمة والعلوم لأنه يتطلب البحث والإحاطة التامة بكل ضروب المعرفة، فهو لذلك أعقد العلوم، أما وقد جد في الطبيعيات والميكانيكا والطب ولم ينته بمد من هذين الأخيرين فقد آثر ديكارت الانتظار.

ومن أجل تجديد السكن القدي ارتأى وجوب القيام فيه،

رب قبل مما أن يأرى إلى أخلاق مونتسكيو *Montesquieu*

هي بمثابة السكن المؤقت حتى يتم له هدم ما أزداد هدمه، وبناء ما أراد بنائه، فماش ديكارت وما ترك لنا إلا هذا السكن المؤقت الذي سكن إليه ربنا يتم الأسس، فلم يتح له ذلك. ومع هذا فإن هذه الأخلاق تستحق العناية لإمكان الاستدلال منها على كثير من جوانب الحياة التي اكتتفت ديكارت في شخصه وبجتمه مما.

وتمت مسألة لها قيمتها وهي الخاصة بالعلاقة بين الفلسفة

والحكمة من ناحية، والأخلاق والسعادة من ناحية أخرى.

أما الحكمة فإنها مرتبطة بالفلسفة ارتباطا وثيقا. يقول في كتابه

عن « القواعد » وكلمة فلسفة تعنى دراسة الحكمة. وأيست العلوم

بأسرها إلا الحكمة الإنسانية التي تبقى هي هي دائما، والحكمة

فضلا عن تضمينها للحكمة العملية - ، فإنها المعرفة التامة بكل

الأشياء التي يتسنى للإنسان المعرفة بها. وإذا كانت الفلسفة هي

دراسة الحكمة قبل اللفظ مترادفان؟ كلا. فالفلسفة هي

« الحكمة » من حيث هي « عملية »، والأخلاق هي آخر

درجة وأبدها في الحكمة، كما يقول ديكارت في مقدمة كتابه

« البدايات ».

وبين الأخلاق وعلم النفس صلة وثيقة، فلنتعرف على أحوال

النفس وأحوال البدن ثم على ما بينهما من تفاعل. وكل ذلك نلسمه

بوضوح في رسائل ديكارت إلى الملكة كريستين *Christine*

والأميرة إليزابيث *Elisabeth* فضلا عن « بحثه في الانفعالات »،

وفي هذه الينابيع الثلاثة عرف ديكارت لب الأخلاق من حيث

هي السلوك الإنساني على أساس قوى من السلوك النفساني.

وعند ديكارت ألفاظ أخلاقية هي: السكال والخير الأسمى

والسعادة والنعم المقيم والاذة والنظر والمعمل والحرية والفضيلة

والمعرفة والإرادة. ودراسة هذه الألفاظ ومدلولاتها عنده والصلة

ديكارت فيلسوف، حفظه من الفلسفة روح الجوانب مترامية الأطراف، وله من الإلمام بالتراث الفلسفي القديم نصيب وفور. فقد أحاط خبرا بسابقه إحاطة تختلف سمة وضيقا، ومع هذا كله فله مذهبه الخاص به في كل ضرب من ضروب الفلسفة. إذ الفيلسوف الحق إنما يخلد آثاره لا بما فهمه وهضم من تراث ما قبله فحسب، بل بما أضاف من جهده قيمته إلى هذا الماضي إضافة من شأنها أن تجعل المذهب الفلاني كالكنز الحلي له صفات النمو والنشور هكذا كان ديكارت، فإن له لإثاره وابتكاره اللذين يميزهما ولا سيما فيما نحن بصدده أى الأخلاق ولا بأس من عرض سريع للتعرف على ميزة الأخلاق عند القدامى قبل استيضاح معالم الأخلاق عند ديكارت.

نعم كان علم الأخلاق عند القدامى علما عمليا يفترض إحاطة تامة بشتى ضروب المعرفة من الطبيعة وما وراءها، والسيكولوجيا وغيرها، فسقراط يقول « اعرف نفسك بنفسك » وينشد أفلاطون « العدالة » النفسية ليبنى عليها العدالة السياسية، وبقية أرسطو يبين أخلاقه على علم النفس، ولا يشذ عن أستاذه في نشدان « الفضيلة التي ليست شيئا آخر غير الوسط المدل بين طرفين » فهم ثلاثتهم يقصدون إلى « الخير » كما عند سقراط، أو « السعادة » كما عند أفلاطون، أو « الحكمة » عند أرسطو.

وعلى هذه الوثيرة سار التابعون لفلسفة اليونان والآخذون عنهم من رواقين وغير رواقين وامتد الشاع من الرواقية حتى وصل إلى ديكارت فتلسمه ثم تأثر به سلبا وإيجابا.

وإذ أحس ديكارت بضرورة الحاجة إلى إتمام صرحه الفلاني كان لا بد له من أن يصنف العلوم تصنيفا هو بمثابة الهيكل أضلاعه مرتبة على جوانبه، فقد ارتأى أن العلم شجرة جذورها الميتافيزيقا،

وعاليا ما يجعلنا الانفعال نعتقد بمض الأشياء الحسنة والرغوبة . وإن لم تكن هي كذلك . على أننا إذا أصابنا كثير من الألم وبقدرنا فرصة الحصول على خيرات أكثر تحمقا فإن المتعة نمرقنا الاخطاء . ومن هنا تأتي العوامل الداخلية كالسرة والندم ، ولهذا كانت مهمة العقل امتحان القيمة الصحيحة لجميع الخيرات التي يبدو أن الحصول عليها يعتمد بشكل ما على تصرفنا لكيلا نحتاج أبدا إلى استعمال جميع غاياتنا إلى محاولة أن نتابع تلك المرعوب فيها أكثر من غيرها

فالتعميم القيم يؤدي إلى اللذة ، ولما لجنها يجب معرفة كيف تتميز هذه اللذات ، ولما كنا لا نستطيع القول ضمنا بأن التعميم القيم ليس هو الخير الأسمى فإنه ليس إلا نتيجة له (١) والتعميم القيم بعبارة أخرى هو الاتجاه الذي يحتم علينا أن نتبع الخير الأسمى الذي هو الوسيلة لهذه الغاية العليا . وهكذا ترى كيف يتميز ويرتبط كل من السعادة والخير الأسمى .

كيف نعرف الخير الأسمى أو مثال السكالم الذي نتوصل إليه إليه باتباع اللذة ؟ يفرق ديكرت بين المثال الغامض والعام عند السكالم الانساني . وهذا ما يجب على كل فرد أن يفترضه . أى يفترض المثال الذي يوافق طبيعته ، وفضلا عن هذا فإن الخير الواجب اتباعه ليس وحده خير السكالم وإنما هو الخير المتعلق بالفرد وحده .

ولما كان من الضروري أن نفرق بين الخيرات الخارجية وبين الخيرات التي تتعلق بنا ، فإن كل الأشياء المتساوية عند الغير ، والخيرات الخارجية تضيف شيئا إلى السكالم والمادة الدائمة . ولما كانت الخيرات الخارجية لا تدخل تحت نطاقنا فوجب أن نركز رغائبنا في الخيرات الخاصة بنا . والذي يخص المرء أولا وبالذات هو إرادته . والسكالم الذي يجب أن نبهت عنه هو كمال الإرادة على نحو ما ينتهى الخير الأسمى إلى الفضيلة فيتحد معها . وإذ ننزع بالإرادة نحو السكالم نكون قد فعلنا كل ما نستطيع فعله لمعالجة الخير الأسمى الذي قد حصلنا عليه فعلا حينما أدر كنا معه كل ما يتفق مع طبيعتنا أى حينما نكون قد استعوزنا على

بينها وبين بعضها كل ذلك إدراك لامقد التي تجمع بين أطراف الأخلاق الديكارتية :

يمرف ديكرت الخير الأسمى بالسكالم إذ الخير الأسمى هو الحصول على كل السكالم الذي كل فعل خالق خلاق به (١) والخير الأسمى لا يتضمن أى وسيلة للسعادة ، ولذلك هما متباينان أشد ما يكون التباين ، ولا يتردد ديكرت لحظة في الفصل بين الخير الأسمى وبين الله فيقول « من الممكن اعتبار طيبة كل شئ في ذاتها بدون ربطها بشئها ما يكون معناه واضحا ، لدرجة أن الله هو الخير الأسمى لأنه أكل الموجودات حيث لا شبيه له في هذا » . ثم هو كذلك يبعد معنى الخير الأسمى عن المعنى الأملاطوني أى المثل الأعلى والقياس الثابت للمثل الإنساني ... وعندما زاعى فكرة الخير لاستخدام قاعدة لأعمالنا فإننا نأخذها على أنها السكالم التام » (٢) .

ويفرق أيضا بين السعادة والتعميم القيم ، فالسعادة حظ سعيد قد لا يكون من فعلنا ، أما التعميم القيم فهو نتيجة الحكمة ، وهو يقوم على السرور . وليست السرور على درجة واحدة من القيمة ، فالسرور كماله ونتيجة للسكالم يجب تقديره بحسب ماله من سبب . وبحسب هذا تميل مسرات النفس وحدها جميع مسرات الإنسان المركب من جسم وروح لأن مسرات الانفعالات معرضة للظهور مقدما أعظم مما سوف لا تقول إليه . ولهذا فهي نتجنا . والمسرات عامة تعطينا من الارتياح أكثر من حقيقة أى هي متمثلة بالسكالم الحقيقي ، و« نعرف تماما كيف يمكن لكل شئ أن يمين على ارتياحنا يجب اعتبار الأسباب التي تنتجها » (٣)

هناك نوعان من اللذة : فمنها ما يتعلق بالنفس وحدها . ومنها ما يتعلق بالإنسان أى النفس من حيث اتصالها بالبدن ، وهذه الأخيرة تظهر غالبا أكثر مما هي عليه ، وقبل حيازتها يكون الأصل في جميع السرور وجميع الأخطاء في الحياة . وبمقتضى العقل يجب أن تقاس كل لذة بمقدار السكالم الذي ينتجها . وإنه لسكالك حين تقيس تلك التي أسبابها معرفة لدينا معرفة واضحة .

١- من خطابه إلى الملكة كرسطين في ٢٠ نوفمبر سنة ١٦٤٧

٢- من خطابه إلى الأميرة إليزابيت في يناير سنة ١٦٤٦

٣- من خطابه إلى إليزابيت في أول سبتمبر سنة ١٦٤٥

(١) للملأيزيت في ١٨ أغسطس سنة ١٦٤٥

الحياة ، وهو يقول « بما أن ارادتنا التي لا تهتم إلا باتباع أمر أو عدم اتباعه حسب ما يصوره لنا العقل حسنا أم سيئا ، فإنه ليسكني أن نحسن الحكم لتحسن العمل . وأن نحكم أحسن ما نستطيع أى للحصول على جميع الفضائل » (٤)

هذا هو موجز التخلق عند ديكارت ، فإجادة الحكم هو إجادة العمل ، وبما أن الوضوح هو القاعدة الأولى لأحكامنا ، وأن الوضوح علامة الحق ، وأن الخير هو الحق ، فكذلك أعمالنا لما ما لزماتنا من القواعد ، فليس هناك حقيقة علمية تنظمها ، واط أعمالنا ، وإنما الحقيقة واحدة نظرا وعملا ، فالارادة الحرة تحددها أفكارنا التي ليست نظرية وعملية ، هي شيء واحد ولا فضل لاحدهما على الأخرى . إذ الأولى قيمتها في المنظمة ، والأخرى قيمتها في السكال كما يقول ملبرانش .

ومن أجل هذه الطرافة التي أتى بها ديكارت بشأن حرية الارادة استحق أن يسمى « فيلوف الحرية » . وكلمة الحرية هنا وعند ديكارت ذات معنى حر إذ تمتد من النفس الانسانية حتى تنهى إلى الحرية السياسية .

وهذا تكون الأخلاق الديكارتية ترجمة لنظريته في المعرفة ، إذ يرى - وقد سبقه سقراط - أن الجهل والرذيلة شيء واحد . كما أن العلم والفضيلة شيء واحد ، فروية الحق بوضوح هي إرادة الخير مباشرة ، والرذيلة خطأ ، والخطأ ناسئء عن معميات وأوعام وأضاليل ، فنحن لا نرى الشر بوضوح ، والشر الذي ترتكبه يتمثل دائما في صورة الخير « فإذا نحن رأينا واحدا كان عمالا أن نأثم حين رأينا على ذلك النحو ، ولذا قيل الخطأ جهل ، وكل خطأ يرجع إلى آرائنا ونزعاتنا وورغباتنا . ومهما يكن من شيء فنحن لا نقدر إلا على أفكارنا » .

وتتضح بذلك خصائص الأخلاق الديكارتية وتتركز في كونها « معرفة جاملة » فضلا عن أنها علم معيارى لأنه يضيف الحرية ومثالا واحدا لواقع ، بل هي علم للنظام المثالي .

والتخلق هو أن كل موجود وكل فعل يجب ان يرضح في نصابه ، والوظيفة الحقيقية للارادة هي أن تتوصل بالنية إلى هذا

الخير الأسمى الحقيقي وحده من الخير الذي هو ملك لنا .
أما الفضيلة فهي مجهود الارادة . وهي ليست استهدادا طبيعيا ، ولا وظيفة من وظائف الذهن وبهم ديكارت بالنية فهو يخرجها حتى تقرب أحيانا من الشخصية الاخلاقية ، فالنية الحسنة الأساسية هي نية معرفة الخير . وتمت فضيلة هي أن يتفق الشخص والموضوع .

والعقل عند ديكارت هو النفس المنفصلة ، والنفس مرآة عليها تظهر الأفكار والمخائيل من نور الإلهي . وأن الانفصال غير مستقل عن العمل لا في النفس ولا في العالم الجسماني ، ولا يمكن أن يفهم أحدهما بدون الآخر ، فلهما اسمان مختلفان لحقيقة واحدة ينظر إليها من وجهين . والعقل ليس وحده كل النفس ، ولكنه مزدوج بالارادة ، وديكارت يستخرج الحقيقة واليقين من العقل والارادة معا .

وديكارت لا يقيم للحرية الاعتبارية وزنا لأنها لا توجد ، وإن وجدت فإنها أحط درجة للحرية (١) على أن للحرية تهربا ورد في « الرسائل السادسة » وهو « أنها ملكة وضعية للجنوح إلى أمر ، واجتناب آخر ، أى اتباعه وتقاديه ، وبمباراة أخرى الجزم على أمر أو رفضه . وإذن فالحرية هي ملكة الاختيار بمعنى أننا إما أن نقبل الشيء أو نرفضه ولما كانت الارادة والحرية شيئا واحدا فإنهما يتمدان على الأفكار « فنحن لا نريد شيئا لا نعلم عنه شيئا » (٢) ، وشيء هام جدا هو أن العقل محدود ، أما الارادة فلا حدود لها (٣) فالعقل لا يتأمل إلا اجزاء فقط من الحقيقة ، أما الارادة فإنها تتعلق بكل شيء سواء في مظاهرها أم في حقائقها .

ثم يتساق ديكارت إلى أفق اليتافيزيقا فيفرق بين الحرية الانسانية والحرية الالهية ، فالأولى تبحث عن الحقيقة التي خلقها الثانية . والارادة والمرقة عند الله شيء واحد ، وعند الانسان : الارادة مقدره مطلقة دون المرقة .

والايمان - عند ديكارت وعند معظم معاصريه - يكفي لتوجيه

(٢) الرسائل الثامنة

(١) التأملات الأولى

(٣) التأملات الأولى

سقراط عما يعرف فقال « كل ما أعرف هو أنني لا أعرف شيئا » .

ثم هو إذ يمرض للفلسفة بتساولها بالتجريح في لبانة وحرص لأنها « تعطينا وسيلة ... لكسب الاعجاب بمن هم أقل منا علما » وهو نهجهم بالسفسطائيين المعاصرين له .

وبمرض ديكارت بفساد النظم السياسية العاصرة فيقول « أما في نظم الدول من عيوب - إن كان في نظامها عيوب ، والخلاف بينها كاف لاثبات كثير من العيوب في كثير منها - فإن التطبيق قد لطفها كثيرا بلا ريب ، بل هو جنب من عيوبها ، وتلاق منها رويدا رويدا ما لم يكن مستطاعا بالحكمة . ثم إن تلك العيوب تكاد تحدث دائما أكثر مما يحتمل تغييرها كالطرق المثوبة بين الجبال تتمهد شيئا فشيئا لكثرة التردد عليها . وخير للسائل أن يذهب في طريق أكثر استقامة ، متسلقا فوق الصخور منحدرًا إلى بطون الوهاد » (١)

وفي هذا من الفهم والتعمير ما لو شرح لفقد قيمته التعبيرية والتفكيرية معا . وهو لهذا يمد صاحب « ثورة سياسية » لا « ثورة فكرية » فحسب ، كما يرى بعض المؤرخين اعتمادا على افتتاحية المقال عن النهج . فإن ديكارت - في نظري - كفلاسفة اليونان إذ نشدوا الإصلاح الاجتماعي فبدأوا بتغيير عقلية المجتمع على أسس فلسفية ؛ وكذلك كان ديكارت .

واختلف الناس في أمر هذا الناثر الجبار الذي أخذ شعاره « ماش سميدا من أحسن الاختفاء » ، ولم يحاول أحدهم أن يضر ديكارت في مناووراته الفكرية .

ومع ذلك فإنه إذ يندد بالإصلاح يرى أن « من المفيد أن نعرف شيئا عن أخلاق الأمم المختلفة حتى يكون حكمنا على أخلاقنا أصح ، وحتى لا نظن أن كل ما خالف عاداتنا هو سفهية ، وغالف العقل كما هو دأب الذين لم يروا شيئا » الذين لم تتجاوز ممارفهم حدود بلادهم . لهذا ساج ديكارت حول « الكتاب الأكبر » واستفاد من أسفاره ما حقق له غرضه .

وما كان ديكارت ليشتق الجاه ، بل لقد بنى عليه - على

النظام ، ومعرفة هذا النظام هي إذن ذات الشأن العظيم ، فالرقبة في معرفة النظام ، ثم الرغبة في اتباعه هو أساس التخلق عند ديكارت ، وإذن فالبرجماتزم على أوضح صورة متحقق في الأخلاق الديكارتية العملية .

وبنى ديكارت بالانفعالات بنية ترويض النفس تبعا لمعرفة هذه الانفعالات . وبذلك نستفيد منها في غرس عادة جديدة ونزع أخرى ولا سيما أن النفس الانسانية هي القابلة للتعود والتخاق . والانفعالات بطبيعتها توجه الارادة قبل العقل لكسب معارف جديدة (الدهشة) ، والبحث فيما هو نافع لنا (الحب) والحرب مما هو غريب عنا (الكره) ، ولكن هذه الاتجاهات تستمد أيضا من الأحكام على الخير والشر ، وهذه الأحكام شأنها في ذلك شأن الانفعالات التي تبقى في حدودها الطبيعية ، وإعسا هي أحكام حقة ، ولكن يندر أن تكون كذلك .

وبعد ، فهل من سبيل إلى التعرف على سلوك ديكارت ، ونحن نعلم أن مذهب الفيلسوف قطعة من حياته ؟ الحق أن قراء ديكارت يختلفون كثيرا على نص واحد يكتبه ، فهو في المقال عن النهج بصدد الحديث عن القسم الأول يقول « وآمل أن يكون هذا الكتاب نافعا لبعض دون أن يضر أحدا ، وأن يرضى عني الجميع لصراحتي » . هذه الجملة البسيطة ، تحمل من اللغات التهكمية اللاذعة ما لا يستطيع قارئ أن يمر به من الكرام . إذ هو يتوابع نواضا مما جاف في عرضه لآرائه على الناس ، وهو إذ يقصد إلى أن يتبع الناس جميعا هذا النهج الذي انتهجه نراه يتخفى وراء هذه الغاية فيتخذ من تواضعه ما يشف عن رغبته هذه . وهو أيضا يبر عن نفسه بأنه صريح . والواقع أن هذه ليست صراحة ، إنما هي تقنيع للفكرة التي لا يريد التصريح بها حذر الوشاة والحراصين .

وديكارت بهذا يقوم - كما يقول كويريه بدور Koyré (١)

« المناورة الـ راطية » ومصدق ذلك قوله « ... لم اكتسب من اجتهادي في التعليم إلا نيتي جه التي شيئا فشيئا » (٢) ولقد سئل

احتكاك الحضارات

للأستاذ محمد محمد علي

أشكال شتى وألوان متباينة . وتبع هذا التطور في الحركات :
تطور في الاحتكاك الذي ساعد على شدته وتمقده في الأزمنة
الحديثة سهولة المواصلات وظهور المخترعات وانتشار الصحافة
وغنى ذلك . فلم تمد هناك عزلة بين الحضارات .

والكلام في هذا الموضوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :
الطرق التي يتم بها احتكاك الحضارات ، ثم النتائج التي تنجم
عن ذلك ، وأخيرا أمثلة من اتصال العرب بالشعوب الأخرى
بعد انتشار الإسلام ، واحتكاك الأوربيين بالجماعات البدائية :
الإسكيمو في الشمال وزوج البانتو في الجنوب ، وأخيرا لمحة عن
الذي حدث بين الشرق والغرب في الماضي والحاضر .

وسائل الاحتكاك

ليس احتكاك الحضارات أمرا مقصورا على الماضي ،
ولكنه ظاهرة مستمرة على مر العصور (١) . ويرى الأستاذ
دنكن (٢) أن الاحتكاك يتوعين من الطرق : طرق منظمة

منذ ظهر الإنسان على وجه الأرض وهو دائم الحركة لا يقر
له قرار ، إذ دأب على الهجرة والترحال ، مما أدى إلى انتشار
الأجناس البشرية وتميرهم بمختلف بقاع هذا الكوكب . وهو
من الحيوانات القليلة ولكن ليس تقليده اليا . فإذا ما انتقل من بيئته
إلى أخرى فإنه لا يحالة ناقل معه مظاهر حضارته وتقاليد . وكما
يحدث تزاوج بين الأجناس واختلاط بين العناصر ، كذلك
يحدث امتزاج بين الثقافات واحتكاك بين الحضارات ، نتيجة
الأخذ والعطاء ، وتبادل الآراء . وحركة الإنسان هذه لها فائدة
مشتركة ؛ فانتقاله إلى بيئة جديدة يمكن هذه البيئة من الاستفادة
منه ، كما يستفيد هو الآخر منها ، إذ ينقل إلى موطنه بعض
مظاهر الحضارة الجديدة .

ولقد تعددت حركة الإنسان على مر الزمن ، فتدرجت من
مجرد هجرات سلمية إلى غزوات حربية وفتوحات استعمارية على

1, Rivers : Psych logy and Ethnology : 1926. P. 300
2, Dunca : Race and population problem, 1929, p. 157

أنه لم يرد إلا أن يئبه الأذهان في رفق إلى فساد استغرق العصر
دون أن يمكر مزاجه ويجرح هدوءه منخب الدنيا ، فضلا عن
نداء المجازر والشائق لكل متمرد نائر .

من أجل هذا اطمان صاحبنا إلى « منزله المؤقت » المبني على
قواعد ثلاث هي : -

١ - طاعة قوانين البلاد واحترام عوائدها ، والثبات على
ديانتها في اعتدال أجمع عليه أعقل المعاصرين .

٢ - الثبات في العمل ، وتجنب الشك والتردد في السياسة
٣ - مقابلة النفس التي لا تقدر إلا على أفكارها إذ لا تحمك

لنا في الأقدار . وهي أخلاق لها أهميتها - كما يقول « زنار »
Mesnard (١) لأنها تمكن النفس من الاستمرار في البحث عن
الحقيقة في أمان ، والاستمرار في كسب العلوم ، ثم هي تكفي
الأخلاق المضطربة التي تمثل معا كل الحياة العملية في كل لحظة .

محمد محمود زيشوم

ما أوتي من بسطة في العيش - ولم يكن يحفل بمنصب يتاله ، ولا
بجمال زائف غير جمال الحقيقة ؛ حتى لقد آثرها على جمال التي هوفي
بيئتها . ولم يغفل ديكرات الصدى الرالذي تروده مأساة جاليليو،
فأثر الحيطه في كل ما يقول ويكتب ، ولكن ألم يذصكر حقا
غير الأخلاق الموقوتة التي ذكرها في المنهج لأنه لم يكن قد انتهى
بعد من إقامة هيكل العلوم ؟

الحق أن ديكرات اتخذ من الأخلاق الموقوتة سكنا موقوتنا
حتى يتم له هدم القديم ابناء الجديد . فهل تم له الهدم والبناء . وإذا
لم يكن ذلك فكيف كتب هذه البحوث المستفيضة في الأخلاق ،
وهو لم ينته بعد من العلوم التي افترض وجودها قبل الأخلاق ؟
الواقع أن ديكرات اضطر إلى ذلك اضطرارا . أولا ليرضى
رغبة الأميرة . وثانيا ليطهر مجهوده الاخلاق قبل أن تساجله
النية فتخرج فلسفة إلى التاريخ مبتورة من عضو هام هو الأخلاق .
وكل فيلسوف - فيما نعلم - لا بد أن يردف الأخلاق بالسياسة
فأين السياسة من فلسفة ديكرات؟ الجواب على ذلك معاد ، وهو

وأخرى غير منظمة ،

الطرق المنظمة: يمثلها التبشير والتجارة والاستعمار والحروب.

١ - المبشرون

ويرتبط تأثيرهم بالنواحي الدينية والروحية . وتعتبر المسيحية أكثر الأديان تبشيرا . ويقال إن السبب في إرسال المبشرين هو القضاء على الوثنية ونشر المسيحية . والذي يحدث في الواقع مرارا وتكرارا في الأوربية الجديدة محل الحضارة الأمازيغية البدائية . فيمقب وصول المبشرين تغيرات في اللبس والسكن والعمادات والتقاليد واللغة ، ذلك لأن البشر يعمل على تعليم الناس لغة قومه فراهة وكتابة . وينظر الأهالي إلى المبشرين أول الأمر على أنهم إغيا يأتون أعمالا غير شرعية . لكنه سرعان ما تنبذ التقاليد القديمة وتنتشر النظم الجديدة التي يعتمد انتشارها اعتمادا كبيرا على مدى تذوق الأهالي لها . وكثير من التباين في جنوب افريقيا وجزيرة مدغشقر ونيوزيلند قد تحسنت أحوالها على أيدي المبشرين (١) . ولقد كان للغرب في الشرق منذ زمن بعيد هبان ومبشرون يعلمون أبناءهم مبادئ العلوم واللغة القومية مع إحدى اللغات الغربية ، وجعلوا من بيروت أس حركاتها ، يثون في عول النشء البادية التي رأوا فيها مصالح أهمهم الدينية (٢) . وتقوم الإرساليات الأمريكية بقسط كبير في التبشير الديني .

٢ - التجار

يأتي التجار غالبا في إثر المبشرين . ومع أن التاجر يكون عدوا للبشر إلا أن الاثنين يميلان معا على نشر الحضارة الجديدة؛ فالبشر يعمل على نحو الوثنية ونشر المسيحية ، وأما التاجر فيبيع السكايات مثل الشاي والسكر والأسلحة للأهالي . على أن البضائع التي تباع للأهالي هي من أخط الأستناف (٣) وفي الواقع يلحق التجار كثيرا من الضرر بالسكان ، فثلا حملوا جماعات الاسكيمو على احتساء القهوة وتناول الخبز واستعمال

(١) يلاحظ أن عنازيم الأوربيين ولله لا يخلو من البانفة

(٢) الأستاذ محمد كرد علي : الاسلام والحضارة الغربية : ١٩٣٤ ج ١

الطباق ، وتماتوا بها حتى إنهم اضطروا إلى بيع الجلود التي هم في حاجة إليها - لكي يحصلوا على هذه المواد ، فأصبحت الحاجة ماسة إلى الجلود الأمر الذي أدى إلى سوء الأحوال (١) . وفي ساحل الذهب بغرب افريقيا استطاع التجار أن يحصلوا على الكاكاو - أهم غلات هذا الاقليم - وذلك مقابل إعطائهم الخمر التي ولع بها الزوج لذلك قال وكلدو كوت Caldecott (٢) « إن المسيحية لم ترفى التوسع الأوربي عاملا مساعدا بل وجدته ممرقلا لها . » وليس من شك في أن الرخ من التجارة كان أساس احتكاك الأوربيين بغيرهم . ويحدث عادة انقسام بين الأهالي إزاء البضائع الجديدة ، فثهم من يقبل عليها ومنهم من يحجم عنها . ويتوقف نجاح التجار على مدى إحاطتهم بعمادات أهل البلاد وتقاليدهم (٣) والقاعدة العامة أنه كلما كان التجار أسمى حضارة كان تأثيرهم قويا ، حتى ولو كانوا قليلي العدد . مثال ذلك : العرب في الملايو ، إذ استطاعوا أن ينشروا الثقافة الاسلامية في هذه الأصقاع رغم قلة عددهم - ولو أن التأثير الجنسي كان ضئيلا بالطبع .

٣ - الاستعمار

وهو انتقال جماعة من الناس من موطنهم الأصلي إلى منطقة أخرى بقصد السيطرة عليها واستغلال مرافقها أو الإقامة فيها . وقد يكون الباعث اقتصاديا أو سياسيا أوهما معا . ولقد كان لمظم الدول الأوربية نصيب في استعمار المناطق البدائية . وحيثما حل المستعمرون فإنهم ينشرون حضارتهم . ويمتيز محل إقامتهم مركزا للمبشرين والتجار (٤) . وكثيرا ما يحدث امتزاج بين حضارتى المستعمرين والأهالي ، أى أن كلا من الطرفين يستفيد من صاحبه؛ فقد أخذ الأمريكيون عن الهنود كثيرا من أسماء المدن والأنهار ، وفي لغتهم كلمات هندية كثيرة . وإن جزءا كبيرا من غذاء الأوروبيين مأخوذ عن الهنود ، حتى قال أحدهم : « لو أننا حذفنا من الأوربية كل الأصول الهندية فإن ذلك يترك ثغرة كبيرة . ولولا الاتصال الدائم بالوطن الأصلي لحدث

1- Brown , Teh polar Regions, 1927, p, 156

2- Duaco, p, 164 3. Vidal adie Blache principles of human geography, 1926, p, 338 4- Duncan' p, 168

فيرى ابن خلدون (١) أن المثلوب مولع أبداً بالانتداء بالثياب في شعاره وزيه ونحله وسائر أحواله ، ذلك لأن المثلوب يعتقد الكمال فيمن قلبه ، فالثياب انتحل من الموائد والمناهب ما أوصله إلى الكمال ، فكأنه ذلك من الثياب ، فإذا اقتدى المثلوب بالثياب فإنه يبلغ درجة الكمال التي تمكنه من أن ينلب الذي قلبه . ولكن قد يحدث أن يحتفظ الثياب بمظاهر حضارته ويألف من الاختلاط بالمثلوب كما فعل العرب في مصر أول الأمر لسكنها هذه العزلة لا تستمر طويلاً . أو أن يحتفظ المثلوب بمقومات حضارته كراهية منه للثياب كما فعل المصريون مع المكسوس والفرس .

ويرى الأستاذ ريفرز (٢) Rivers أنه كلما كانت حضارة المثلوبين راقية كان التأثير عليهم بطيئاً بسيطاً . والفرق عظيم بين تأثير الأوربيين في الهند والصين وبين تأثيرهم على العناصر البدائية التي تتأثر بسرعة لأنها أسلس قياداً وأكثر طواعية .

ويرى مس سيمبل (٣) Semple أنه إذا كان الغزاة أسمى حضارة — حتى ولو كان عددهم قليلاً — فإن الغزو يتمخض عن اندماج المثلوبين تدريجياً مع الغزاة : في النظم الاقتصادية ومختلف نواحي الحياة ، مع التسليم بتأخر الاندماج في النواحي الروحية . فقد استطاع الاغريق أن يصبغوا شرقي البحر الأبيض المتوسط بالصبغة الاغريقية ، وتمكن العرب من نشر الثقافة الاسلامية في سواحل شرق افريقيا حتى موزمبيق — مع قلة عددهم هناك ، وذلك لارتفاع مستوى حضارتهم وسموها .

وتداسفاد الشرق والغرب استفادة عظيمة من الحروب الصليبية (١) إذ عرف الصليبيون صنائع أرق من صنائعهم ، وحبب إليهم تسامح المسلمين الهجرة والترحال فربطوا صلات تجارية مع الشرق . وارتفع عن أذهان الغربيين ما كان دس — رؤسائهم الدينيون عن الاسلام حتى عاد بعضهم يشرح المتقدات الاسلامية بضبط ودقة ، كما استعاد المسلمون كثيراً من ذلك .

محمد محمد علي

البقية في العدد القادم

ليانسيه في الآب

(١) مقدمة بن خلدون بيروت ١٩٠٠ ص ١٩٤٧

(١) في كتابه : Psychology x Ethnology, p 300

(٢) في كتابها Influences of geographic environment 1937 pp 83,74

(١) راجع تفصيل ذلك في كتاب الأستاذ كرد علي : الاسلام

والحضارة الغربية : ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٩٤

التشابه التام بين الحضارتين (١) . « وأحياناً يحتفظ الستمرون بمقومات حضارتهم ويهزلونها عن الأهالي فلا يختلطون بهم ؛ ولكن هذا الأمر لا يطول . ويتميز الاستعمار الحديث بميزة سوداء ، ألا وهي إبادة كثير من العناصر الأصلية ، هذه الإبادة على ثلاثة أشكال .

١- إبادة مباشرة : وهذه تم بالقتل كما حدث في تسمانيا

ب- إبادة غير مباشرة : وذلك بتسليمهم الأسلحة التي يجهلون استخدامها فقتل بعضهم بعضاً ، أو نشر الأمراض كما حدث بين الاسكيمو .

ج- إبادة هادئة لطيفة باسكانهم في المناطق غير المنتجة كما في استراليا أو وضعهم في حظائر - كما عومل الهنود في جنوب افريقيا .

وإذا نظرنا إلى أعمال الدول الكبرى يمكن القول إن للاستعمار سياحتين (٢) : سياسة التلاشي داخل الوحدة وهذه سياسة الدول اللاتينية وعلى رأسها فرنسا ، وتعمل على فرض حضارتها بشيء من القوة مع القضاء على الأصلية وسياسة التنوع داخل الوحدة وهي سياسة الدول الكسونية وفي مقدمتها إنجلترا ، وتحاول إيجاد نوع من الاحتفاظ بالشمسية ويكون ذلك في الناحية الدينية غالباً مع إبقاء الأمور الاقتصادية تحت سيطرتها توجيهها كيف شاء لها الهوى . وليس من شك في أن هذه السياسة أكثر تضليلاً ، على أن الأهالي قد يقاومون أو قد يرضخون .

٤ - الحروب

للحروب أثر كبير في احتكاك الحضارات ، إذ أن كلا من الفريقين يستفيد من صاحبه . وقد أدت حروب الاسكندر الأكبر إلى وقوع احتكاك بين التيارين الثقافيين في الشرق والغرب . وكانت خطة الاسكندر هي إقامة وحدة حضارية عالمية قائمة على الحضارة اليونانية ، والسبيل إلى ذلك إنشاء مراكز ثقافة تدرس فيها علوم اليونان وتحكم بنظمها ، فكانت الاسكندرية من أعظم المراكز الثقافية التي يشع منها نور الحضارة الاغريقية .

ويختلف الكتاب في مدى احتكاك المثلوبين والغالبين :

1, Ibid. P. 170

(٢) محاضرات الدكتور عباس عمار في الجزائر الجنية بسم الجزائر

اثنين سانت هيلير

من علماء الحملة الفرنسية

للكاتب الفرنسي رنيه سموا

شورث : الم

في يوم قانظ من سنة ١٧٨٤ شوهد فتى في الثانية عشرة من عمره ، منهمكا في البحث عن النباتات والحشرات . كان يتأبط حقيبة يضع فيها باعثناء ونظام الازهار والاوراق التي يقع اختياره عليها ، وكان معه علبه لعون الحشرات التي تستحق العناية ،

ولما انتهى عمله من جمع النبات والحشرات من نوع الخنافس جلس في ظل سديانة ، وجعل يدرس مجموعته الجديدة بنظارة خاصة ثم كان يدرن ملاحظاته في دفتر صغير وكان مستغرقا في درسه حتى انه لم ينتبه لوجود الشيخ الذي كان راقب حركته باهتمام واعجاب رفع بصره لسماء تعظيم غصن ياس ، وجعل الشاب يلتفت الى مصدر الصوت فبادر الى اخذ لوازمه واستمد للرحيل لانه رأى شيئا واقفا بالقرب منه « قال له ذلك الشيخ لاضرير عليك ياسي « لا تقطع عملك لانه يهمني كثيرا ، وانى لسعيد في تزهى هذه لانها دفنتى الى القبر بك ، وادركت تماما بانك مشغوف بتاريخ الطبيعى ، لاني كرسيت معظم حياتي لتعليم وتدرسي هذا العلم ، فاجابه الشاب : « نعم ياسيدي - لانه آذس تكلماته المشجعة - اني احب النبات والحشرات المختلفة كثيرا باشكالها والوانها . على انه ليس لدي سوى معلومات اولية من التاريخ الطبيعى . وعليه لاني اغتم المطلة الكبرى لأكون مجموعة من نباتات هذا البلد ومن حشراته . « قال له الشيخ « هل لك ان تربى نتيجة اجابتك ؟ - فاجابه الفتى : « سما وطاعة ، ياسيدي ، أرجوك أن تنفردى قصوري لاني مستعد في هذا العلم ا »

فأخذ الشيخ المجموعة والدفتر ، وأخذ يتأمل باعجاب دراسة

هذا الحدث ثم قال . « ياسي انك متواضع جدا لانك تطلب منى الصفح عن قصورك ، بيد انى ارى هنا طريقة البحث واضحة ومعلومات وملاحظات هي فوق سنك . كل هذا حسن ؛ ولكن قل لى اين تملت المبادئ الاولية للتاريخ الطبيعى ؟ قال له الحدث . اعطاني ابى الدروس الاولى واكملت دروسى في كلية (ايتيمب) . - فاستغرب الشيخ قائلا : وهل تسكن عائلتك هذه المدينة ؟ فاجابه الحدث بقوله . نعم ياسيدي ، ان والدى هو نائب عام هذه المدينة -

- ما اسمك ياسي ؟

- اسمى جوزفروا سانت هيلير

- قال الشيخ ، لاعجب بان تكون ذا ميل شديد للملوم الطبيعية . لان ثلاثة من هذه الاسرة يدعون بجوزفروا سانت هيلير كانوا اعضاء في الجمع العلمى فرع الملوم ، وكان الاخير يسمى باسمك : اثنين سانت هيلير وكان احد الاساتذة الممتازين لحدائق النبات (حديقة الملك)

قال الفتى . - أراك ياسيدي واقفا على تاريخ اسرتى ، مع انى لم اشاهدك قط في بيتنا افاضاف الشيخ قائلا : صدقت يا ولدى ولكن اعلم بانى مطلع على تاريخ العلماء النابيين في الملوم لاني استاذ في حديقة النباتات وفي كوايچ ده فرانس . فاضطرب الفتى من هذه المصادفة حتى انه ما تجرأ ان يسأل الشيخ عن اسمه .

ولما عاد الى البيت قص على ابيه ما توقع له ، فتبسم ابوه وقال ان من سادفت هو العالم « دويتون الذى طبق اسمه اوروبا كاهيا . انى مسرور منك لاهتمامك بالملوم . ولكن لانكس ان رغبتى ورغمة امك هي ان تستعد لتعلم امور الدين كي تصبح يوما من حزب الاكايروس «

مولده

ولد اثنين جوزفروا سانت هيلير ، في (ايتيمب) في ١٥ نيسان سنة ١٧٧٢ من والدين عريقين في الشرف ، متوسطى الحال مثقفين ثقافة عالية ، جدير بان ينسب لهذه الاسرة الكريمة التي انجبت علماء في الملوم الطبيعية والفيزيائية في غضون القرن

الثامن عشر .

فاعتني الوالد بثقافة ولده ، ولا سيما جدته التي كانت ترى فيه مخائل الذكاء فقد كانت له خير موجه ومدرس اذ شرحت له منذ نعومة اظفاره كتب اعظم رجال اليونان وازومان وكذلك ما ألف في عصر لويس الرابع عشر . حتى انه تفهم تاريخ اعظم الرجال للمؤرخ (بلوتارك) على يديها في سن الحادية عشرة من عمره . نعم لقد ظهرت آثار هذه الثقافة فيه واكسبت نفسه قوة وشجاعة شديدة المراس .

حدث له إذ كان في العاشرة من عمره انه بينما كان يتنزه مع رطافه في ضواحي المدينة سمع صوت اعوال وصراخ من اناس كانوا يطلبون الفرار فاسرع « اتين » الى المكان ، فشهد وبالمول ما شاهد . نظر فتاة قد هاجمها كلب والمسكينة جامدة مكانها لاحول لها ولا طول الا البكاء فاسرع صاحبنا الى كرامة واخذ من تحتها شعبا وارتمى على الكلب ضاربا اياه بشدة حتى ولى الحيوان الادبار وتوارى في الاجرة القريبة .

وبعد ان اتم دراسته المنزلية على ابيه وفي مدرسة مدينة ايتيمب ، نال كرسيا مجاميا في كلية نانا في باريس ، وتابع دراسته الاديبة بسهولة وتقوى بالعلوم تحت ارشاد اساتذة علماء وهنأ بها من فكره كل انتساب للاكبروس . واقدم بقواه جديها على استقاء العلوم المحيية اليه . فتسجل طالبا في حديقة النباتات وفي كولييج ده فرانس ، حيث التقى ثمانية بصديقه القديم دوبيتون وتبع دروسه بكل رغبة ونشاط .

اما الدور الذي مثله اتين اثنا عشر سنة في الثورة الفرنسية فقد كان في آخر سنة ١٧٩٢ ومعه اذ ذاك عشرون سنة . وكان مستقرفا في دروسه حين قطع عليه الارهاب سلسلة دراسته ، على انه لم يقطع اطيب الصلات واقوامها مع اساتذته في كلية نانا ، وخاصة مع هاري المالم في المعادن ولا هومون النحوي الشهير وعدد كبير من العلماء .

وكل هؤلاء الاعلام قد اوقفوا وزجوا في غياهب السجون لانهم كانوا منهمين بمعلمهم للملكية .

فسمى غاية جهده ولم يدخر وسيلة لاتقاذم من هذا المأزق باذلا النفس والنفيس حتى تسكلت جهودوه بالنجاح .

وعهدت اليه حكومة الكونفانسيون « بتدريس مادة العلوم الطبيعية ببناء على اقتراح صديقه « دوبيتون فصار زميلا لهؤلاء الاعلام . « امثال لاسبيد - وبرنارد ده سان بيير - وكوفيه ، ركاهم اكبر ستامنه وكانت حديقة الحيوانات . قد تلاشت في الثورة الشهورة . واخذ العالم الجديدة « اتين » يحدد هذه الحديقة فقام بوظيفته خير قيام . على اكد وجه .

اتين والسرى

ولما تسلمت حكومة الادارة الامور عهدت الى الجنرال نابليون بونابرت غزو مصر سنة ١٧٩٨ لتهربا كثيرا التي لا يمكن مهاجمتها في جزيرتها الصخرية . وبعد ان اخذ قائد الحملة عدته قرر ان يستعين ببعثة من العلماء امثال « مونج - وبرتوله - ودونون » فقام برتوله وعرض على العالم الشاب اتين باسم بونابرت وعلى زميله كوفيه ايكوتا من اعضاء البعثة .

ولما تم احتلال مصر شرع « اتين » في أعماله في التاريخ الطبيعى فجمع مجموعة طيور من ذوات الريش المحيب . وكتب في مذكراته « في هذا الفردوس الأرضى ينسى المرء نفسه بأنه ينبنى عليه ان يسكن المساكن لفقرة وأن يسعى وراء قوته مثل الحيوانات التي يدرسها . فكان يقوم كل منا بدوره بوظيفة الطاهى . ولكن عندما يكون دورى يضطر الرفاق إلى تناول المجففات » .

بيد أن الأمر لم يطل كثيرا لأن الأوامر صدرت من كليبروده سيكس بضرورة الجلاء من أرض الكنانة ؛ ولكن « اتين » على رغم قرب الاحتلال الابجايزى وقتل حملة بونابرت لم ينفك عن العمل في مخبره كأن الأمر كان طبيعيا إذ لم يوقفه لحظة واحدة انفجار القنابل وأزيز الرصاص . كما كان ارخبيدس في حصار سيراكوكا .

دخل مخبره يوما زميله المالم فوريه وقال له . « يا صديقى انتقطع عن العمل لأن الجنرال « مو » وقع على وثيقة التسليم ، وستعود بمثقتنا إلى فرنسا . - فاجابه حمدا لله ان مجموعاتي

الشعر المصري في مائة عام

على أبو النصر

١٨٨٠ - ...

للاستاذ محمد سيد كيلاني

—*—*—*—*—

لا أرى على أير الشعر عناية من أرق الخراج لا أرى
ورحل إلى القاهرة والتحق بالأزهر . ويقرن اسمه عادة باسم زميله
اللبثي ، فقد كانا تديمين للخديو اسماعيل . غير أنه كان أسبق من
صاحبه في الظهور في ميدان الشعر وفي الاتصال بالحكام . فقد
روى أن محمد علي باشا أرسله ضمن بعثة إلى الأستانة لحضور فرح
أقامه السلطان عبد المجيد . ثم اتصل بسعيد ومدحه ورثى ابنه
طوسون بقصيدة طويلة . ثم اتصل بإسماعيل وأصبح من ندائه
القرين إليه . وقد قيل إنه (١) كان طيب الفأكة والمجالسة ،
لطيف السامرة والؤانسة ، حاضر الذهن لا يذالبه في المناظرة من
جاده . وكان له مطايبات مشحونة بالنسك الأدبية مع الحشمة

أنظر مقدمة ديوانه

والخذر مما تأباه النفوس الأدبية . وقد صحب الخديو اسماعيل في
بعض رحلاته إلى دار الخلافة . ومات في أوائل حكم توفيق .
وله ديوان شعر مطبوع منه بعض نسخ بدار الكتب المصرية

* * *

امتاز أبو النصر على اللبثي بولمه العظيم بالمحسنات اللفظية من
تورية وجناس وطباق . وكان أمتن أسلوبا من صاحبه إلا أنه كان
يشبهه من حيث الإفلاس في الماني والفردات اللغوية . ومن قوله
يدح سميدا :

أشرفت أنوار إقبال السميد فازدهى روض الهاني بالصميد
وابتهاج الأنس أضحى شاهدا بانتظام الشمل في عز مديد
والليالي بالأمان أقبلت باسمات الثمر عن در نضيد
ويلاحظ هنا أن الشاعر ذكر « الروض » و « الأنس »
و « الليالي الباسمات » و « الأمان » . وهو بهذا يذكرنا بصاحبه
اللبثي في قصيدته التي يقول فيها :

أنعم بطيب ليال الحن كالنور في جبهة الدهر تسموعن سنا القمر
بها ترف الأمان في مواكها لكل راج وروعاها أخو السمر
إلا أن أبا النصر كما ترى أجود قولاً من صاحبه . والصورة
الشعرية التي في قوله :

كل ما لدينا .

وزاد (اثنين قائلًا - ستعلم أوروبا كل شيء . لقد احترقت فيها
مضى مكتبة الاسكندرية ؛ وتميت انكثرا اليوم بأعمال العلماء الزائفة
المجيدة في ميدان العلوم فلن تنسى عملها الأجيال .

فأثرت بلاغة هذا العالم الشاب في القائد الانكليزي وأنتى المادة
السادسة عشرة ورجع العلماء بكنوزهم إلى فرنسا . ووافق بمدئذ
نابليون في حملة البورتغال واسبانيا وزاد في ثروة العلم بما عمله
من اكتشافات في ميدان التاريخ الطبيعي .

ومات سنة ١٨٥٤ بين أسرته مأسوفا عليه من أبناء وطنه
ومكرما من كل أوروبا .

ترجمة

وربع سنجيد

أستاذ اللغة العربية في مدرسة
البحارة الثانوية بمشق

جاهزة سأعطى الأوامر لشحنها ، ان حملتنا لم تذهب سدى لأن
العلم يملك النتائج الطيبة فحسب . - قفاطمه قائلًا . بكل أسف
أن أعمالنا سيستولى عليها الانكاثز وبذلك تذهب جهودنا عبثا .
فاجابه « اثنين » من فوره: كلا ، سنقابل القائد الانكليزي وسوف
نقنمه بأنه مخطئ في تنفيذ فكرته وقملا ذهب وقابل هو والعلماء
القائد الانكليزي وبسط له فكرته بشأن المادة السادسة عشرة
القاضية بتسليم الجيش الفرنسي كل معداته . - فرد عليه « اثنين »
بقوله ليس هذا عملا حربيًا ، أما هذه أعمال قام بها العلماء خدمة
للعلم . فاجابه « هوتشنون » لقد وقع على المادة السادسة عشرة
وليس في إمكان عدم تنفيذها .

فاجابه اثنين : مادام الأمر كذلك فانتا نرفض ان نسلحكم
ثمره جهودنا . وسننتف كل هذه الثروة التي جمنناها قبل
أن يدخل جيشكم هذه المدينة . ولدى جيشكم لا نجدون سوى رماد
هذه الكنوز . فأيد أعضاء البعثة قول « اثنين » قائلين سنكتف

وليس في هذه الأبيات - سوى مدح الخديو بالكرم والتفرد
بالمجد ونشر العدل . وقد بالغ في هذا مبالغة ظاهرة ؛ فجعل الدنيا
تود أن تنسب إلى المدوح لما لم تجده له شيئا . وجعل عدل
الخديو مشهورا في جميع ممالك الأرض حتى أن ملوك العالم قد
شكروه وأثنوا عليه لما سمعوا بإنصافه . وهذا عبت وهراء اضطره
إليه ضيق المجال .

وقال :

سودت عن أقطار مملكتك رحلة بها سارت الركبان والسمد قائد
وسرت فطاف النصر حولك - أعيا . وغيرك من درك المآرب قاعد
والمنى نافه كما ترى . والطواف والسبي يكونان حول شيء
ثابت . والصورة المنترعة منها لا تتفق مع الصورة التي توحى بها
كلمة « سرت » ولو قال « وسرت فصار النصر فوقك ساعيا »
لكان موقفا . والظاهر أنه كره أن يكرر الفعل ثلاث مرات في
بيتين متتاليتين . فإن صح هذا فقد كان بوسمه أن يقول « وسرت
فكان النصر حولك ساعيا . »

ثم قال :

وصلت إلى دار الخلافة زاروا مليكاه بالمسكرمات عوائد
مليك حباك الود في غاية الصفا وشاطرك الآرا ونعم المقاصد
والمنى في منتهى الضعف . وقوله « في غاية الصفا » من
عبارات الدهماء . وقوله « وشاطرك الآرا ونعم المقاصد » خلو
من المنى . وقال :
عناك شاهدت المحاسن كلها ولا زلت للصنع الجليل تشاهد
ومعناه قد بلغ الغاية في التفاهة .

وقال :

ولكن إلى مرآك مصر تشوقت ومنها إليها صادر الشوق وازد
نابت فكد النيل يينخل بالوفا وعبت قواني جيره وهو زائد
وقوله « ومنها إليها » من ردى التراكيب . وليس في البيتين
من المنى ما يستحق الذكر . ويلاحظ أنه يكثر من تشبيه جود
المدوح بالبحر وقال من قصيدة أخرى :
فهو المليك الذي علا مآثره وقائض الجود من جدواه امئاد
المفرد العلم الأسمى علا شرفا وقاض بحرا فكم ترجمه وواد
كالنيت جاد بما يفضي الأنام بلا من نجدواه إنجاز وإيجاد
وليس في هذه الأبيات - سوى مدح الخديو بالكرم

محمد سير كيهلوي

سلام بية

والليالي بالأمانى أقبلت باسمات النفر من حر نصيد
خير بكثير من السورة التي في قول الليثي :

بها ترف الأمانى في مواكبها لكل راج ويرعاها أخوال السمر
ولم يقف أبو النصر عند المدح طويلا ، بل اكتفى بهذه
الآبيات الثلاثة . ثم انتقل إلى ذكر الجيوش السعيدية . وقد أجاد
في الانتقال . فيمد أن ذكر الليالي المقبلة بالأمانى ، قال :

معبات عن جيوش زردى بالآلى وهي في المقد القريد
سادة إذ شيدوا بيت الملا لم يزل مدحى لهم بيت القصيد
إن بدت أعلامهم في موكب جاءت البشرى على خيل البريد
أو تبدى طيفهم يوم الوغى مرقت منه المدى خوف الوعيد
والذي يظهر لى من هذه الآبيات أن الشاعر وضع نصب
عينيه عبارات « المقد القريد » و « بيت القصيد » و « خيل البريد »
ثم شرع ينظم كل بيت بحيث يتفق مع إحدى هذه العبارات .
ولذلك كانت معانيه نافهة . وما قيمة خيل البريد هذه بجانب
الأسلاك البرقية وقد عرفت في مصر منذ عهد محمد علي ؟ ووصف
الجيوش بأنها ترمى باللالى غير جيد لأنه جعل هذه الجيوش
أداة للزينة تفوق اللالى في الحسن والجمال . ولكن عبارة « المقد
القريد » قد استهوته وسيطرت على تفكيره فاسقته إلى هذا الوصف
وكذلك قوله :

سادة إذ شيدوا بيت الملا ... الخ فلم يذكر بيت الملا إلا
ليقول بيت القصيد . ثم استطرد في وصف هذه الجيوش في أبيات
ذكرناها عند الكلام عن مصر سعيد .

وقد لاحظنا أن الليثي كان يبدأ المدح بذكر الليالي والأمانى
والأنس ويأتى بصور الرياض والأزهار والطيور والجداول وغير
ذلك . أما أبو النصر فكان يبدأ في الغالب بنزل طويل متكلف
ممل ، ثم ينتقل إلى المدح الذي لا يستغرق فيه سوى أبيات قليلة
قد تصل إلى أربعة أبيات أو خمسة . ومن قوله بمدح اسماعيل :
إليك خديوى مصر تصبو المحامد ومنك ترجى للأنام القوائد
وعنك حديث المجد يروى صحيحه وفيك لأيات الفخار شواهد
وأنت أخوالها وانت أبو الفدا وأنت لكف للشر كف وساعد
وجورك للأوطان عز ونعمة وجودو بحر فيه تحلو الموارد
إلى ملك الدنيا تود اتساعها لما علت في الكون أنك واحد
وما مصر في الأقطار إلا كجنة وذكرك فيها بالكرام خالد
وعد لك في كل الممالك ثابت فكل ملك شاكر لك حامد

وتجعلها أقل إحماساً وترويضاً - حين لا تكونين بقربي ، أنت
أيها الحبيبة ا

أجل ، هي كذلك ، ولكن الحب موعبة الطبيعة لأبناء
الحياة ، وهو بهذه الصفة حق طبيعي لكل مخلوق ، وملك خالص
لكل حي ..

الم تسمى - مرة - إلى حين من الطبع ثنائان أشه اتعها -
الفريرة ، وإلى زوجين من الناس يتطارحان رغباتهما البريئة ... ؟
أم قد غاب عنك كيف يسمى كل حيوان ، وكيف يحاول كل
إنسان ، أن يعانق قريته بحبه ويكاشفه بلواجمه .. في أيام الربيع
هذه ... ؟

وفي أيام الربيع هذه .. كنت أن أتوقع أن يهيء لي حظي
من حيي نعيم نجوم الحبيبة ، ونعمى قبلاتك الحلوة ، ولسكنك
لسبت هنا ، أيها الحبيبة ا

فألى لي أن أتشوف إلى السعادة ؟ ولم أحتفل بالربيع وشبهه ،
وألوانه مادام ذلك القدر الصارم قد حرم على تلك السعادة ؟
(دمشق) . محمد الأرنؤوط

الربيع

للشاعرة الإنجليزية آنو ومرزلي

ما الآن . الآن . قدم الربيع ، يامن لك تذكرني الآن
مثل ذكراى لك ، فخلع على كل واد لونا ؛ وأقم عند كل شعب
عرباً من محاروب الجبال ؛ ونفخ في كل خلية روحاً ؛ وأوحى إلى
الطير بأغاريده النجر الجديد والفصل الضاحك ؛ فاستخف بذلك
كاه أهل الحى الذين خفوا يلتمسون آثار هذه المباحج ، وطفقوا
يستبيحون لذائد هذه الحياة في موسم انتعاشها وانبعاشها
وازدهارها ..

ها هي ، يامن بأني عليك القدر الصارم إلا أن تتناسيني ، كل
مفاتيح هذه الطبيعة ومباحج هذا الربيع ، خليفة أن تضىء النفس
بأقياس الهناءة ، وخليفة أن تصل القلب بأسباب السعادة ..
ها هي ذى كاهها قد استحبال عليها أن تجمل منى أحد أولئك
السعداء ... وأنت يا حبيبتي بميدة عنى .. ا

في الجور ، هنا ، عصفور غرد فرح ، بروج وبندو ، فوق
رأسي ، وفوق الشجر ..

وهناك ، عند أقصى المديقة ، تطل حمامة مطرقة برأسها الجليل ،
من بين السياج ، وهي ترسل من حين إلى آخر هدبل قلبها الصغير
بحب فراخها ، يتردد وقيقاً صافياً مع النسيم الندية ..

وهناك ، في الناحية المقابلة ، تلك العرائش الخضر الذهبية ،
ذات الحواشي البيض ، التي تعرفينها جيداً ، والتي طالما انطلقنا
مندها خفيفين نمرح على سجيتنا ، في براءة الأطفال ، وطهارة
المحبين ..

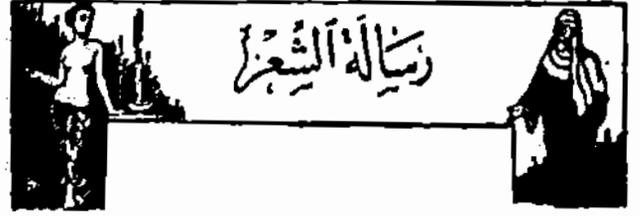
إنها جيماً ترد إلى ذهني ذكريات حبنا المتيد . وما كان
أجملها وأحفلى ذكريات ا
وهي في الحق ، إنما تحيط وحدثني بشيء من أنس وإشراق ،

ادارة البلديات العامة

مباني

تقبل المعطآت ببلدية بني سويف
لغاية ظهر ١٥ مايو سنة
١٩٥٠ من بناء مخزون بقاء
مبنى وابورات الانارة وتطلب الشروط
من بلدية بني سويف نظير
٣٠٠ مليم بخلاف أجرة البريد .

٤٦٢٤



هتاف روح

« في ليلة هائلة من ليالي كاليفورنيا »

للاستاذ سيد قطر

في الجوى يا مصر دفء يدفى إلى خيالك
وتستجيش حنيني إلى الليال هنا لك
للأمميات السكارى نشوى ترف خيالك
ونسمة فيك تسرى ريانة من جمالك
نجواك مله فؤادى ترى خطرت ببالك
التيسل والموج سار يقبل الشيطان
والبدر والتور ساه كحالم وسنان
وفي الجواء حنيث مجنح حيران
ومن هفالك لحن يهفو إلى الآذان
صداه ناء عميق في نأى هذا الزمان
في النفس يا مصر شوق لخطرة في رباك
لضمة من ثراك انفحة من جواك
لومضة من سماك لهاتف من رؤاك
لليلة فيك أخرى مع الرفاق هناك
ظلمان تهتف روحى متى ترائى أراك؟
سان فرانسكو سيد قطب

يا حياتى!

للاستاذ ابراهيم محمد نجرا

ألا يا حياتى ملئت الشباب
وعفت خدام الأمان الكذاب
وهان الشيب ، لعل به
فيغمر نفسى هدوء رحيب
ويذهب عني نزوع مجيب
وشوق إلى عالم ذى حجاب
حلت به في ليالى المهام
فلما اتبته ، وبى نشوة
وهلاطويت الشباب لقتضابا
فردى إليك الأمان الكذاب
أبدد من طالى الاضطرابا
وينساب في خلجاتى انحيابا
إلى كل سر دمانى وغابا
أريد لأكشف عنه الحجابا
رؤى باهرات ، وفنا وهجابا
من الحلم ، طابت لقلبي وطابا

وأبت إلى عالم هفتة
وحب ظمئت إلى ورده
وسر طواني ، ولم أطوه
شربت المرارة من كأسه
وسرث به في رحاب الحياة
يؤرق ليلى بأشجانه
ويحرق روحى لظى طائبا
أحدث نفسى به خالي ا
رمانى به قدر صارم
ركنت ولى رغبة في الحياة
وكانت لقلبي متى حلوة
وهأنذا قد ألت البكاء
بكيت حياتى وغفيتها
وكل يترجم عما به
ولو كنت أملك سر الفناء
ولكنما ملكتنى الشجون
نصيبى الذى أطلقته الحياة
زرعت بعمرى ورود اللى
وأسأل نفسى السؤال الرهيب
أقول لها : كيف أجبى المقاب
لملك أذنبت في عالم
إذن سوف أحمل ما تكرهين
وأجعل عمرى أسى كله
وأثر في الأرض زهر اللى
وأجنى من المرشوك الضنى
وأمضى بلا رغبة في الحياة
على الشوك أمشى ولا أشتكى
لملى أرى الموت مستعلنا
أناديه : حتى متى ، لارتقاب ؟
طلبك إذ عذبتنى الحياة
حياتى تشور ، وأنت اللباب
فأسمع صوتا كرجع الصدى
لقد آن ياموت أن يستريح
وكل إلى أصله صائر

عنت أنى عدمت الإيابا
ليسقىنى ، فسقانى الدرابا
وعذبني ، فاحتملت العذابا
فيا للمرارة صارت شرابا
غريبا ، فضاقت حياتى رحابا
ويسدل فوق نهارى الصحابا
ويتمد في أفق عمرى ضبابا
وأكتبه حين أتى الضبابا
فيا ليلته إذ رمى ما أصابا
فلما رمانى ... شككت الرغابا
فذابت دموعا بقلبي ، وذابا
فأرسلت قلبي دما مذابا
وبعض الفناء يكون انتحابا
ويكشف عما لديه النقابا
لأرسلته نفا مستطابا
فأرسلتنى شجنا واكتتابا
لخوم في أفق عمرى غرابا
فلما جنيت ... جنيت اليبابا
ولأنى لأعرف عنه الجوابا
ولم أجن دنيا ، وما قلت عابا ؟
بميد ، فهلا احتملت المقابا ؟
وأرضى بما تفكرين ... احتسابا
وأملؤه وحشة واغترابا
فأشعر أنى ثرت الشيبابا
كأنى زرعت بعمرى الصبابا
أرود الوهاد ، وأطوى الهضابا
وفوق الزمال تشع الأنهابا
بقربى ، فأزداد منه اقترابا
أما ضاع فيك الشباب ارتقابا ؟
فحسبى عذابا ، وحسبى طلابا
ويا موت إنى أريد اللبابا
يقول - وما قال إلا صوابا :-
وفى دينه ، واقتضينا الحمابا
فقل « للتراب » : ستغدو ترابا

ابراهيم محمد نجرا

المسألة وقلة خطرهما من حيث تعيين القدر الذي ينبغي استلزامه من كل من الأدبين .. وبذلك تحولت المناظرة إلى مقابلة بين الأدب العربي الحديث والأدب العربي القديم ، فحمل كل من الجانبين على الآخر ، يثلب أدبه ويشيد بما يناصره ، وقد يمتد الرشاش إلى الأشخاص ، فهذا جاهل لم يطلع على الأدب العربي القديم وهذا رجعي متأخر ... الخ

وعلى ذلك راح مؤيدو الرأي يشنون النارة على الأدب العربي القديم ، يقولون إنه أدب بعيد عن حياتنا الحاضرة وهو أدب أجوف يعتمد على فخامة اللفظ والتركيب وأدباؤه فرديون ، ولم تكن فيه وحدة القصيدة . وقالت الآنسة إنه صعب خشن لا يلائم حياتنا الناعمة .. واستشهدت بأبيات لعنترة يتغزل فيها بمبلة على أن الشعر العربي شعر حسي لأن عنتره لم يعجبه في حبيته إلا جمالها وصفاتها الحسية ولم يهتم بروحها .. وقال الأستاذ عبد الرحمن الخميسي إنه أدب جهسارة ! وجملت درجة الحرارة في خطبة الدكتور القصاص تيميل إلى الصعود تدريجياً .. فسفه تفكير العرب ووصف أدبهم بالمقم وقارن بينه وبين آراء العلماء والفلاسفة الغربيين ... وارتفعت درجة الحرارة فجأة إلى أقصى حد إذ قال إن الأدب العربي جزء من التاريخ الميت ويجب أن نبحت له عن متحف من متاحف الآثار الميتة ! !

وعلى ذلك أيضا طفق موارضو الرأي يكيلون للأدب الغربي قدحا بقدرح ، يقولون إنه أدب منحل لا ينامب بيثاننا الشرقية وإنه إنما بصور حالات في تلك الأمم تختلف عن حالاتنا ، وقد نشأت فيه مذاهب بطروف خاصة نتيجة لاضطراب الخواطر وقلق النفوس من أثر الحروب وغيرها ، وهي مذاهب معقدة ملتوية كالرمزية والسريالية ، وقد أفاض في ذلك الأستاذ عمر الدسوقي، وعرج على شعراء العرب المحدثين الذين قلدوا تلك المذاهب ، رأى بأمثلة من أشعارهم وكان لقصيدة « الشاطئ الحافل » للدكتور بشر فارس مكان في هذا المجال . وجمل بيين ما في بعض هذه الأشعار من خاط وما في بعضها من سخف ، كما أفاض الأستاذ الدسوقي أيضا في عرض كثير من القصص الغريبة التي رأى أنها تدافع عن النقائص والذائل . وارتفعت

الادب والفضة في السبوح

للإستاذ عباس خضر

مناظرة بين الأدب العربي والأدب الغربي :

جرت يوم الأحد الماضي مناظرة في قاعة المحاضرات بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، كان موضوعها « يجب أن يستلم الأدب العربي الحديث الأدب العربي القديم أكثر مما يستلم الأدب العربي القديم » أيد الرأي الدكتور محمد القصاص والأستاذ عبد الرحمن الخميسي والطالب فايت لطف الله والآنسة كايو بانرة خليل ، وعارضه الأستاذ عمر الدسوقي والأستاذ حامد داود والطالب محمود مكي والآنسة بشرى جنينة .

والموضوع - كما ترى - يقتضى أن يستلم الأدب العربي الحديث كلا من الأدبين العربي القديم والعربي الحديث ، ولكن الخلاف على الكمية ... فطبيعة الموضوع تفرض على كل من المتناظرين أن يقر فائدة الأدبين وحسن أثرهما في أدبنا الحديث ، وليس له إلا أن يقول بالأكثار من هذا والاققلال من ذلك ، فالسألة بهذا الوضع مسألة بديهية من حيث انه ينبغي الأخذ والاستفادة من هذا وذلك ، فاذا يدعو إلى المناظرة والجدل فيها ؟ أذقول بزيادة نسبة هذا على ذلك ، فستسلم مثلا الأدب الغربي بنسبة واحد وخمسين في المائة ، والأدب العربي القديم بنسبة تسمة وأربعين في المائة ، أو العكس ، أو نقص هذه النسبة أو نزيد تلك ؟

ولكن حماس المتناظرين ورغبتهم في العيال والجولان وميل كل فريق إلى أن يظهر بتأييد رأيه ، كل ذلك جعلهم يمدون تلك الحدود الضيقة المقيم ... وكأنهم أدرأوا تهاة

المستشرقين ، ومما قاله أن وحدة
الفصيحة كانت موجودة في كثير
من النصوص في الجاهلية والأسلام
على أن لكل أمة طلابها الخاص
في أدبها . وقد عقب الخيبي
على ما قاله الدسوقي في أدب
الأنحلال الأوربي فدافع عن
القصاص التي ذكرها الدسوقي
بأسها تصور الدرافع الانسانية
وأن الأخلاق شيء آخر غير
الفن .

ومما يلاحظ أن أكثر
المتناظرين لم يكن نطقهم العربي
سليما وخاصة الطلبة ، وكانت
الآنسة المؤيدة مثالا في ذلك ،
وهي - نعم - من القسم
الانجليزي ، ولكن ألم تسمع
صراة من الحد الأسانذة أو غيرهم
اسم « أبي نواس » الذي نطقته
كما ينطقه العوام « أبو النواس »
وأعتقد أن هناك قدرا من
تقويم الألسنة في اللغة القومية
ينبغي أن يأخذ به كل متعلم
مهما كان نوع تعليمه . وقد
خرج الأستاذ عبد الرحمن
الخيبي من هذا المأزق باللغة
العامية الخالصة .

وقد طلب إلى الحاضرين -
بعد انتهاء المناظرة - أن يقف
منهم من يؤيد الرأي فوقف
أقلية ، ولما طلب وقوف

مشكولات الأسبوع

□ فرغت لجان جوائز فؤاد الأول من عملها في غس
الانتاج المرشح ليلها واقترح ما تراه حقيقا بها من الكتب
المقدمة ، واللجان ثلاث ، لجنة الآداب ، ولجنة انقانون ، ولجنة
العلوم الرياضية والفلكية ، والجائزة المقررة لكل من أصحاب الكتب
الفائزة في النواحي الثلاث مقدارها ألف جنيه . وقد اجتمعت
اللجنة الفاعمة لجوائز برابسة معالي وزير المعارف يوم الثلاثاء
الماضي ونظرت في قرارات اللجان الفرعية ووضعت القرار
النهائي فأجلت : جائزة الآداب ، والقانون الى العام المقبل ووافقت
على تقسيم جائزة العلوم بين اثنين . وستعلن النتيجة في الاحتفال
بذكرى الفقور له الملك فؤاد الأول يوم ٢٨ ابريل الحلال .

□ كتب الأستاذ توفيق الحكيم في العدد الأخير من
« أخبار اليوم » يقول إن الروح المسيطر الآن على الحياة
الصرية هو التهرب ، وقد اتسمت حياتنا بهذا الروح للحد
نرى فيه الصغوة من العلماء والمثقفين وأساتذة الجامعات
وطلابها إذا أرادوا إحياء حفلاتهم السنوية لجأواهم أيضا إلى
المتذلين من الفنين والمضحكين والراقصات . إلى أن قال :
إن المسلم يعيش في عصر الذرة ، ومصر تعيش في عصر
« شكوكو » ...

□ كتب الدكتور أحمد فؤاد الأهواني في « المصري »
يقول بأن ابن سينا كان طبيبا أكثر منه فيلسوفا ، وبني
ذلك على اعتراف أوروبا اللاتينية بمنزلة في الطب ، وأخذ
أهل المغرب والأندلس بلبه دون فلسفته ، وأنه نظم فن
الطب ويوبه واتكروا من المالمجات يجازيها عن الفناء ،
على حين لم يكن في الفلسفة صاحب رأى جديد إلا في النادر .
□ إذا ظهر كتاب للدكتور أحمد فؤاد الأهواني فاعلم
أن الأستاذ محمد عبد الفتاح سيكتب عنه ، والعكس صحيح .

□ « وزارة المعارف العمومية » هكنا تسمى الوزارة
المصرية على التحطيم والتثقيف ، وأستطيع أن أؤكد أن ليس
في مصر وزارة معارف خصوصية ... ووزيرها يقال له
وزير المعارف العمومية ، وقد كان يتسامح في ذلك من قبل ،
ولكن الآن قد أصبحت هذه « العمومية » غير مستغفة
والوزير طه حين

□ من المسائل التي يعيها مجلس الإذاعة الأعلى تنظيم إصدار
وتمرير مجلة الإذاعة بحيث تكون في حالة تسامح على رواجها .

□ تلقت وزارة الخارجية من بعض البلاد الأجنبية أنها
ترغب في الحصول على أفلام مصرية تصلح للدعاية لمصر في
الخارج ولكن مصر - مع الاسف - لم تجب هذا
الطلب لأنها لم تجد لديها أفلاما يتحقق فيها هذا الغرض .

□ قدم الأستاذ يوسف وهي بك استقالته من الفرقة المصرية .

درجة حماسه ضاربا على وتر
الفصيحة والقومية حتى دوى له
التصفيق في أرجاء المسكن .

ولم يفت هؤلاء أن يردوا
طمانات أولئك ، التي وجهها
إلى الأدب العربي ، وكذلك
صنع الأولون بما وجه إلى
الأدب الغربي . وكان الدكتور
القصاص قد استهل كلمته
بالإشارة إلى ما حدث بفرنسا
على أثر هزيمتها في الحرب
الماضية ، إذ جعل القوم يفكرون
في أسباب هزيمتهم ، فلم
يوجهوها إلى خطأ في السياسة
أو في خطة الحرب . بل قال
قائلهم إن التبعة فيما أصاب
فرنسا على أسانذة السيربون
والأدباء الذين لم يحسنوا توجيه
الجيل ، واستطرق الدكتور
من هذا إلى القول بأن أدب
العرب لا يصلح للتوجيه في هذا
الزمن فيجب أن نتجه نحو
أدب الغرب وننترف من علومه
وتقافته .

فلما تكلم الأستاذ الدسوقي قال
متعبا على ذلك : كيف نستلهم
الأدب الفرنسي وهو الذي أدى
إلى هزيمة فرنسا ؟

ودافع الدسوقي عن
الأدب العربي وأبي بروائع منه
واستشهد بأقوال فيه لبعض

الماضين وقف أكثر الحاضرين وكان حماس الدسوقي في الدفاع من النضيلة والقومية لا يزال سائدا عليهم إذ كان أخذ الرأي عقب كلمته . ولم أفهم أنا مع المؤيدين ولا مع المراضين لأنى أرى أن نأخذ من هذا كما نأخذ من ذلك . . . ولست أدري لماذا أهملوا هذا الجانب أو لعل عذرهم في ذلك أنهم لم يجلوه طرفا في المناظرة . ولكن لماذا ما دامت المسألة مسألة تحديد القدر ؟ أليس من حق مثلا ، وقد يكون لى أمثال في الحاضرين ، أن يجمل النسبة ٥٠ في المائة لكل من الأديين ١١

ثم لماذا قصر الأمر على الأدب العربى القديم والأدب العربى الحديث ؟ لماذا لا نأخذ ونستفيد من الأدب العربى القديم ، ومن الأدب الهندى ومن الأدب الصينى ومن كل أدب في هذه الدنيا قديما وحديثا ؟ أنا لا أعرف للثقافة والمعرفة حدا ، والأدب المصرى يجب أن يأخذ من كل شئ أحسنه ، ولا يقف عقله على جديد لأنه جديد ولا يفلقه دون القديم لأنه قديم .

وبما يلاحظ أن المناظرة لم يكن لها نتيجة ، وهذا من طبيعة الموضوع ، فمضى أشبه بما كانوا يقولونه قديما في السيف والقلم وما يبيته مملو الانشاء في المدارس من الصراع « الفكرى » بين الطيارة والسيارة ، ولا شك أن كلا من السيف والقلم والطيارة والسيارة لازم مطلوب في موضعه ، وكذلك الأدب العربى القديم والأدب العربى الحديث . فلم يكن يلوق بالجامعيين أن يستهلمكروا جهدهم على ذلك النحو مضحين بما عرف عنهم من البحث « النهجى » عن حقائق الأشياء .

صهبة « أصرفاؤنا الزوار »

افتتحت الفرقة المصرية موسمها الثانى على مسرح الأوبرا الملكية هذه المسرحية ، بعد انتهاء الموسم الأخرى بهذا المسرح . كتبها الأستاذ فتوح نشاطى ويقال إنه اقتبسها ، وتبدو آثار الأصل بها من حيث دلالة الحوارات على البيئة الغربية ، كما سألين بعد . وأخرجها الأستاذ رضى طابيات ، وقام بأهم الأدوار فيها الأساتذة حسين رياض و احمد علام ومحم الحبرى وفؤاد شفيق والسيدة زينب صدقى وروحية خبالد ونعيمه وصفى .
والقصة تلتخص فى أن صالح بك بهوم (حسن رياض)

رجل سماح يعيش فى ضيعة بمشهر ، يشغل وقته برعاية مزارعه وحديقة قصره ، واستقبال ضيوفه من الأصدقاء الذين يكثرون منهم ويقتبطون فؤودهم عليه ويسرفون فى إكرامهم والإغداق عليهم ، وهم أعماط مختلفة ، فهذا زميل الدراسة أنى وزوجته إلى ضيافة رفيق الصبا ، وهذا صديق عزيز جاء هو وولده كذلك ، وذلك ضيف من طرابلس ينزل على الرحب والسعة دون سابق معرفة . الخ —
وفى البيت امرأتان هما فوزية (زينب صدق) زوجة صالح بك ، وفان (روحية خالدة) ابنته من زوجة متوفاة ، وفيه أيضا الشاب خورشيد (عمر الحربرى) ابن عم الزوجة ، وهو شاب وسيم فاسد الخلق ، يستغل كرم الزوج وطيبته ويحاول استهالة الزوجة وإغرامها ، وهو يتهاضر ليطيل إقامته ، ويستعدى الدكتور عزمى (احمد علام) لملاجه ، فيظن أن بينهما معرفة قديمة ، وتتملق الفتاة فان بالدكتور عزمى . وتقع حوادث يعمل فيها الأصدقاء الضيوف على تنغيص حياة صديقتهم المضيف وتكدير صفوه بمختلف الوسائل ، ويرقب الدكتور الحالة وهو ساخط عليهم ، كما يرقب الملاقة بين الزوجة وابن عمها ، ويتخذ من التدبير ما يفسد به أمرهم جميعا وينقذ الزوجة من نوايا الشاب الأثيم ، ويكشف ربا الأصدقاء فيثبت لصالح بك أن ما يدعيه أولئك « الأصدقاء الألداء » من الاخلاص والود والوفاء لا حقيقة له ، وأن الدكتور عزمى الذى لا يكاد يذكر كلمة الصداقة هو الصديق الخالص حقا الجدير بأن يزوجه ابنته .

وتتازل القصة بأنها محبوبكة ومتسلسلة فى منطق مستقيم وتكاد تكون عديمة العجوات . وهى كما ترى قصة اجتماعية ، تمالج هذا الموضوع ، موضوع الصداقة والأصدقاء ، من حيث كثرة المرائين وقلة الخالصين بل ندرتهم ، ولكنك تشمر وأنت تشاهدها أن الموضوع يتطلب علاجاً أروع مما بذل فيه ، كما تشمر فى عرض التفصيلات بالمجهد فى الالتفاتات الجزئية التى تعتبر مثل هذه الرواية مجالاً خصبا لها ، وذلك ناشئ — فيما يبدو — من أن الكاتب غير منغل بالبيئة التى عرض لها ، وهو وإن أظهر لنا بعض الشخصيات ذات الملامح المصرية المعروفة إلا أن الصورة الأساسية ، وهى صورة صالح بك وأمرته المنقطعين إلى الريف المحيين له السعداء فيه ، أقرب إلى صور الريف فى أوروبا

الماصرة .

ويحاول المؤلف في مستهل كتابه أن يحدد موضوعه وأن يرسم خطاطه الرئيسية، ويقول في مقدمته «ويحاول هذا الكتاب

أن يلقى نظرة موضوعية على علم النفس المعاصر ، والقدر الذي يتعلق بمدارسه ، وما تضيء به للإنسانية من أقطار . وهو لا يريد أن يقدم آراء المؤلف الخاصة في أية صورة مذهبية ، وإن لم يتمتع به شرح شخصية هنا وهناك . ثم هو لا يهدف إلى نقد شأنا المدارس المختلفة ، ولا إلى تقدير هام حتى يتأدى بالقارى . بل واحدة منها ويهد به عن الأخرى ، وإزاء غرضه أن يقدم صورة لهذه المدارس لا محاكاة فيها ، حتى ينهيا للقارى . أن يقف على المالم الرئيسية لكل منها في غير توسع مريبك ، ولكن بالقدر من التجسيم الذى يعطى لونا لهذه الصورة . »

وهذه المدارس المعاصرة التى تتوزع ميدان علم النفس فيما بينها ، إن دلت على شيء ، فملى حداثة هذا العلم ، وعلى أن موضوعه لم يمتين ، ومنهجه لم يتضح ، وظائمه لم تتحدد بعد . ولا بد أن تمر عشرات السنين قبل أن يتأدى الصراع القائم بينها إلى موضوع لعلم النفس محدود ، ومنهج واضح ، وغاية معلومة ،

علما جو الرواية ، فالجو هنا كله وياة وفاق ، وهذا الغلام (رضوان) الذى يقول أبوه إنه ملاك طاهر والذى يقضى ويطرق أمام السيدات ، هو أيضا يسير فى ركاب الرياه ، بل يجسمه ، إذ هو لا يلبث أن يساير على الخادمة اللوب ويهرب معها .

وقد أدى المثلون والمثلات أدوارهم بجد وإخلاص ، ووفق أكثرهم ، فكان حسين رياض بارعا فى تصور الشخصية التى تدور عليها المسرحية وقد اندمج فيها كل الاندماج . وكان أحمد علام موقفا فى تمثيل الرجل الحازم الحذر كما كان ظريفا فى إشاراته ونبرات صوته ذات المعنى الذى يلوح إليه ، ولكنه كان قارا أمام الفتاة التى تحبه ويحبها . أما عمر الحريرى ، وهو من خريجي معهد التمثيل ، فقد أثبت أنه دم جديد نابض . وكانت زينب صدق طبيعية مجيدة فى تمثيلها وإن كان الدور غير ملائم لها ، وهو دور امرأة تشرى شابا وتدفعه إلى محاولة اقتناصها ، وقد أمكن أن تبدو رشيقة خفيفة الحركة ولكن الموت وظلال الشخصية كانت بميدة عما يتطلبه الدور من بعض الصبا والشباب .

عباس مضر



مدارس علم النفس المعاصرة

تأليف العمدة : رورت ودورث

ترجمة : الأستاذ كمال دسوقي

نشرته : دار المعارف بصرته ١٩٥٠

الكتاب الذى أقدمه اليوم لقراء العربية من وضع العلامة رورت ودورث Robert Wodworth الذى ولد فى بلخرتون من أعمال ماساتشوستس Massachusetts بأمرىكا فى ١٧ أكتوبر سنة ١٨٦٩ . وهو يحتوى على طائفة من المحاضرات ألقاها المؤلف سنوات عدة ، إن اشتغاله بالتدريس فى جامعة كولومبيا عنوانها « نظرة فى علم النفس المعاصر » ونشرت بنىوورك لأول مرة سنة ١٩٣١ تحت هذا العنوان « مدارس علم النفس

والسرحية فكاهية ، وهى كذلك بجهود الممثلين وحركاتهم أكثر مما هى بالحوار ، فأنت تحس فى المواقف المختلفة بالمادة « الخمام » التى لم يصنع منها ما تصلح له من الفكاهة ، فالحوار ضعيف قار من هذه الناحية وإن كان المثلون يبتنون فيه شيئا من الحرارة ، وكان يخيل إلى أن المثل الطريف فؤاد شفيق يعانى ضيق الحيز الذى وضع فيه فيحاول أن يوسعه ولكنه يطبق عليه . أما إخراج الرواية فهو الذى كسا عظمها لجا وجمل لها روحا ، من حيث تمسيق المناظر وتوزيع الأضواء وتحريك الممثلين والمثلات ، فقد بدت المناظر موافقة رائمة معبرة ، فالشاهد يرسل بعصره إلى المسرح فى المشهد الأول حيث بهو الاستقبال فى القصر ومن ورائه حديقة غناء ، فلا يخالجه شك فى حقيقتها وما هى بطبيعة الحال إلا رسوم وأضواء ، ومن المناظر المعجبية منظر الشرفة تبدو منها حمرة الشفق تارة ويرسل إليها القمر أشمته تارة أخرى ، والابداع الفنى فى تهيئة المنظر للموقف وملاءمته لأحوال من يتحركون فيه والاستمانة به على التمييز وإبراز المقصود منه . وللأستاذ ذكى طلبات طريقة لطيفة فى تقديم شخصيات ثانوية صغيرة ينعكس

حيث منهجه ومستواه العلمي أكثر منها على نظريته . فبينما قنع عالم النفس السابق بأن يستعين على البرهنة بالذاكرة وخبرته الشخصية السامة مع ما فيها من عدم الثقة ، إذا بلم النفس الجديد يصير على أن تقوم حقائقه على ملاحظات مسجلة ومعدة .

ويتابع المؤلف حديثه عن المؤثرات الخارجية المختلفة ، التي استهدف لها علمنا الناشئ . فيمرض لكل من البيولوجيا السامة - وعلى الخصوص نظرية التطور Theory of Evolution - وما كان لها من ثورة على علم النفس القديم ؛ ولعلم الطب العقلي psychiatry وما كان من انقسام أطبائه إلى مـسـكـرين : نفسيين psychists يبحثون عن أسباب المرض في العقل ، وجسميين somatists يرحمونها إلى اضطرابات في المخ . ثم يبين ما كان من جانب علماء النفس من محاولات جديدة - كرد فعل لهذه المؤثرات الخارجية - لفصل هذا العلم عن الفلسفة ، وعن غيره من العلوم التي لها به صلة قريبة أو بعيدة .

وقد كان علماء النفس في أواخر هذا القرن يعرفون علمهم بأنه علم الشعور science of consciousness ، وبالتالي كانوا يتخذون الاستبطان منهجاً لهم . ثم جاء القرن العشرون الذي حاول المشتغلين فيه عـائـل علم النفس أن يثوروا على هذا « النظام القائم » في القرن الماضي متأمسين ما فيه من مثالب وهنات ؛ « فتمزقت بينهم أرباباً سيكولوجيا القرن التاسع عشر القديمة المسكينة عرقاً اطيافاً ، ونشأت مدارس تمارضت مع بعضها البعض تماماً كما تمارضت مع علم النفس القديم » وبجزم عن ذلك فترة نشيطة جداً ذات نظام لم يقرر بعد « ص ٥٧ وحاولت كل من هذه المدارس أن تحدد موضوع علم النفس ، وأن تتخذ لنفسها منهجاً خاصاً يتأدى بها إلى نتائج حقيقية حاسمة . وهي قد اجتمعت - وإن اختلفت في الوسيلة - على إعلان الثورة على هذا « النظام القائم » الذي يصور علم النفس باعتباره « دراسة للشعور » متخذاً « الاستبطان » منهجاً يستخذه في دراسة الانسان .

فلم النفس كما يراد بالسلوكي مثلاً « هوشمية تجريبية موضوعية خالصة من العلم الطبيعي . وهدفه النظري هو تنبؤ السلوك وضبطه . وليس الاستبطان جزءاً رئيسياً من مناهجه ، ولا القيمة العلمية لحقائقه تقوم على استمدادها لأن تعبر عن نفسها بألفاظ الشعور ...

يتفرغ العلماء بعد الوقوف عليها إلى تناول موضوعات جزئية لها صبغة موضوعية داخل هذا الاطار الذي تكون مماله قد ونحت كما هي الحال في العلوم الطبيعية .

والسكتاب يقع في سبعة فصول :

الأول : ما وراء خلافتنا الجارية

الثاني : سيكولوجيا الاستبطان والمدرسة الوجودية .

الثالث : السلوكية .

الرابع : سيكولوجيا الحشطات أو الشكائية :

الخامس : التحليل النفسي والمدارس الملحقة .

السادس : مذهب القصد أو علم النفس المورري .

السابع . وسط الطريق

ويستهل المؤلف كتابه بالحديث عما يسميه « النظام القائم » Established order الذي كان يسمى وقت انتشاره وذيوعه ، علم النفس الحديث ، تميزا له عن سيكولوجيا المصور الوسطى وسيكولوجيا ديكرت وهوبز وليينتس وغيرهم . وهذا « النظام القائم » ارتباطي في أساسه . والارتباطيون في علم النفس هم الذين حاولوا في القرن الثامن عشر ، ومستهل القرن التاسع عشر أن يردوا جميع العمليات العقلية إلى عممية الارتباط Associatio والتداعي وحدها ، بدلا من ردها إلى أساس عام من الحركة كما فعل هوبز مثلا ، حينما فسّر هذه العمليات تفسيراً « جعلها في صف واحد مع العمليات الفيزيقية ... فالحركة الخارجية تقع على أعضاء الحس وتتصل بالأعصاب والمخ والقلب ؛ والحركة الداخلية - عند ما تبدأ - تستمر بحكم القصور الذاتي inertia على هيئة ذكريات وأفكار » ص ٥١

ويمرض المؤلف لما كان لعلمي الكيمياء ، والفيزيولوجيا من تأثير كبير على مناهج علم النفس في القرن التاسع عشر ، بعد أن عرض علينا ما كان لعلم الفسيمة من أثر واضح عليها . فالكيمياء أوحى بفكرة « كيمياء العقل » mental chemistry ، التي تحمل مركبات العقل ، كما تحمل الكيمياء المادة إلى عناصرها الأولية ويمد إرغاماً لمسعى التحليل النفسي فيما بعد . أما الفيزيولوجيا فقد أوحى بمكرة « التجريب » في علم النفس ، فكان - فيلاداول معمل علم النفس التجريبي ، أنشأه فنت في ليدسك سنة ١٨٧٩ وكانت ثورة السيكولوجيا التجريبية على النفس السابق عليها من

على الاطلاق ، منهج التحليل ، سواء منه ما اختص بالسلوك أو الخبرة . وقد رفضت هذه المدرسة كذلك فكرة الصافي باعتبارها فسكرة مضللة ، كما رفضت الاحساسات ، وعلى الأقل الأولية منها على أنها عناصر للخبرة التي سبق لها أن رفضتها هي الأخرى .

* * *

تلك هي الخطوط الرئيسية لمدارس علم النفس المعاصرة ، التي عرض لها رادورث في كتابه الذي لم يشأ يؤلفه أن يقف به عندها ، دون أن يمرض علينا شذرات من مذاهب علماء ميرز في ميدان علم النفس ، ولكنهم مع ذلك لا ينتمون إلى هذه المدرسة أو تلك .

في بريطانيا : نجد الأستاذ سبيرمن بجامعة لندن الذي ولد سنة ١٨٦٣ ، والذي احتدم الجدل بينه وبين ثوراندنيك حول طبيعة الذكاء . كما نجد الدكتور . ش . ص . مايرز بلندن وكان مديراً لأول معمل سيكلوجي في بريطانيا - معمل كبرديج ثم عين مديراً لمعهد علم النفس الصناعي القوي .

وفي ألمانيا : نجد الأستاذ فليكس كريجر Filix Kreuger « ولد سنة ١٨٧٤ » ، الذي يعارض الجشطلت « فيرين أن الشكل الذي ندركه في أية لحظة هو ذاته متضمن في شعور كلي ؛ فالشعور عنده حقيقة أكثر جوهرية من الصورة الخلفية » . كما نجد الأستاذ . ا . اشبرانجر Espranger بجامعة برلين (ولد سنة ١٨٨٢) . ومن تلاميذ ميلر Muller اثنتان هما فينش DaYid Katz الأستاذ في ماربورج ، ودافيد كاتس الأستاذ في رستوك . كما يذكر المؤلف الأستاذ وليم استرن wStern تلميذ ابنجمارس .

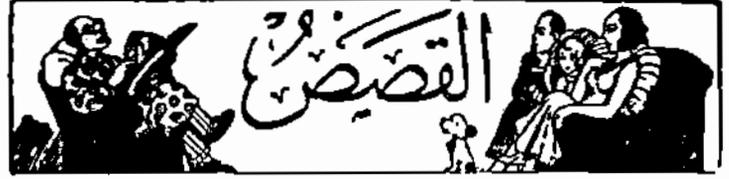
وفي سويسرا : نجد الأستاذ كلاپارد Claparède الذي أنشأ معهد روسو لدراسة الأطفال .
وفي إيطاليا نجد Benussi الأستاذ السابق بجامعة بادو . كما نجد الأستاذ S de sanctis المشهور بتخصصه في الأمراض العصبية والنفسية ، والأستاذ كيسوا الذي كان تلميذاً ، قدما لفتت . والأستاذ Fikesow المعروف بقياسه المعهود ودراساته للتعب .

ولعله لا بد قد حان الوقت الذي يطرح فيه علم النفس كل إشارة إلى الشمور . إذ لم تمد به حاجة بعد إلى أن يندمج نفسه في حسابان أنه يجمل الحالات العقلية موضوعاً للاحفظته . ص ١٤٠

وبينا السلوكيون يحاولون إبعاد الشمور عن ميدان علم النفس ويقصرون دراساتهم على السلوك وحده ، ترى فريقاً آخر من العلماء ، لم تنشأ مدرستهم عن علم النفس ذاته ، وإنما نشأت عن أبحاث الطب العقلي psychiatry ؛ تلك هي مدرسة التحليل "سي" والتي رأيناها "لغة فرير" ، التي ارتدت إلى رجاها وأخذت ما يجرى في اللاشعور ، من ذكريات وأحلام ، موضوعاً لدراساتها بوسائلها الخاصة .

ولقد حاولت مدرسة أخرى جديدة هي مدرسة القصد purposivist School وعلى رأسها مكديوجل ، أن تتخذ لعلم النفس موضوعاً من الدوافع الإنسانية - من غرائز وعادات وانفعالات وأفعال منعكسة نائرة بذلك على النزعة العقلية التي كانت تسيطر على هذا العلم وعلى الايمان بأن منهج الاستبطان هو وحده المنهج الصحيح في علم النفس .

وليس معنى هذا أن علماء النفس القائلين بالشمور موضوعاً والاستبطان منهجاً لعلم النفس ، قد قنعوا بالثورات المختلفة المتلاحقة من جانب هذه المدارس على مذهبهم ، وإنما يمدلون فيه باقدر الذي يظهرهم وسط الميدان وكأنهم أصحاب مدرسة جديدة ؛ فإلى جانب ايمانهم بالاستبطان قالوا بأن علم النفس هو علم خبرة الفرد the science of Individuals experience مهمته « وصف هذه الخبرات وتحليلها ، ومقارنتها ، وتصنيفها ، وترتيبها في نظام دقيق . فكانت الخبرات تدرس وكأنها موجودات Existences وبمباراة أخرى ، أن علم النفس الوجودي كان يجد مقمة في الفرد كصاحب EXPERIENCER ، وليس كقائم الفعل performer ؛ ص ٧٧
وتمت مدرسة أخرى هي مدرسة الجشطلت Gestoff أو مدرسة الصيغة Configuration التي تارت على المذهب الارتباطي من حيث عنايته ، على الخصوص ، بالجانب العقلي من الحياة ، ومن حيث أنه « أخذ بالاحساسات البسيطة على أنها العمليات الأولية ، التي منها تتركب الخبرات والأفكار المركبة » ص ١٧٤ . كما أن هذه المدرسة - على العكس من السلوكية التي نادى بتحليل السلوك لا الخبرة - قد اطرحت ،



قلب كبير

د إلى صديقي الأستاذ أنور المداوي
إسبانيا بلب الكبير -

للاستاذ شاكر خصباك

من كان يتصور هذا ؟ من كان يتصور أن ذلك القلب الصغير يتسع لكل تلك المواطف الكبيرة الزاخرة بأسمى مشاعر الحب والوفاء ؟ أجل ، من كان يتصور هذا ؟ ومع ذلك فقد

جرى كل شيء في بساطة مدهشة .
كان النزل الذي أخذته مقرالى في القاهرة يعج بالمفريات ،
وكنت أحاول إقناع نفسي باستشاف حياة جديدة خالية من

عنصر النساء - بعد أن جر على متاعب جنة - فانطلقت أنقب عن
أسرة صغيرة أشاركها العيش عانى أسكن إلى حياة رزينة . وهكذا
عرفت تلك الأسرة الفرنسية الطيبة . وكان قوامها زوجين في
العقد الرابع من عمرهما وصبية في ريعها الثالث عشر ذات حنن
موفور من الحسن يشدها الأسفر الذهبي وعينيها الزرقاوين
الواستين وملاعها الدقيقة الساذجة .

وانطويت على نفسي في الأيام الأولى ، فلم أتبادل مع الأسرة
سوى أحاديث قصيرة على مائدة الطعام . وفيما عدا ذلك كنت
أعتكف في غرفتي منصرفاً إلى القراءة والدرس . لكنني ما لبثت

ترجمته إلى العربية الأستاذ الشاب « كمال دسوقي » بما عرف عنه
من حماس للعلم منقطع النظر . ولا يفوتني هنا أن أشكر لصديقي
الأستاذ هنا المجهود الجبار الذي بذله ، من يوم بدأ يترجم كتابه
طالباً بالسنة النهائية من قسم الفلسفة بكلية الآداب . وتتجلى
آثار هذا المجهود في مقدمته التي يلخص فيها أهم التيارات التي
تجاذب علم النفس ، والتي يورد فيها ترجمة وافية دقيقة لمؤلف
الكتاب وثبتاً لمؤلفاته ، كما يتجلى في التعليقات المسهبة التي
يعقب بها المترجم على كل فصل من فصول الكتاب « وهذه
ميزة لا نعرف أن المؤلف قد سبق إليها من قبل . وفي ثبت
المراجع الذي ذيل به الكتاب فضلاً عن المراجع التي أوردها
المؤلف » كما تتجلى كذلك في أمانة النقل ، ودقته . مع ما في
أسلوب الكتاب من التواء وغموض .

وختاماً أرجو لعلم النفس على الخصوص ، وللفلسفة بوجه
عام ، خيراً كثيراً على يدي المترجم وفيه من الشبان المشتغلين
بهذه الدراسات في مصر وشرق العربي ، عن طريق الترجمة
والتأليف على السواء .

مصطفى أحمد فوره

النصورة

ليسانسي في الفلسفة

ومدرس بالمدارس الأميرية بالنصورة

وفي فرنسا : نجد الأستاذ هنري بيرون المولود
في سنة ١٨٨١ . كما نجد الأستاذ جورج ديماس George Dumas
المعروف بأبحاثه الخاصة بالانفعالات .

وفي روسيا : نجد تياراً جديداً ينادى بدراسة الفرد « كمضو
في طبقة اقتصادية أو مهنية ؟ ويتزعم هذا التيار علماً نذكر منهم
الأستاذ كورنيولوف المولود في سنة ١٨٧٩ ، ومدبر
علم النفس النفس التجريبي في جامعة ولاية موسكو .
ونحب هنا أن نشير إلى أن مؤلف هذا الكتاب ، هو
نفسه من بين علماء وسط الطريق أو أن هؤلاء العلماء لا يقفون
من المدارس المعاصرة في علم النفس موقف المتفرج ، بل إنهم
يقومون بمهمة التوفيق حينئذ ، وحينئذ آخر يقومون باختيار
ما هو أحسن ، وأقرب إلى الصواب عند كل من هذه المدارس ،
ليسيروا به قدماً ، تاركين المدارس في تنازعها ومضارها . فقل
يدي علماء وسط الطريق يجب أن تتوقع من الكشف والاستقلال
في الموضوعات والمناهج على السواء أكثر مما تتوقع من
المدارس .

• • •

وبعد فهذا رسم تخليطي للكتاب الفذ الذي اضطلع بمهمة

بحر جيشا بالمواطن المضطربة . ومع أنها كانت تحب أن تجلس إلى دوام ، إلا أنها لم تكن تقتحم على غرفتي أبداً ، بل كانت تنتظر في لفحة أن أسألها ذلك بنفسى . واعتقدت بدورى أن أستدعها إلى غرفتى عصر كل يوم حين أتود من المدرسة ، لتقص على ما مر بها من حوادث النهار . وقد صادف أن يضيق وقتى عن الاستماع إليها بمض الأحيان ، فأضطر إلى القراءة والتظاهر بالاستماع ، فكانت تكف عن الكلام وتوكن إلى الصمت رغم احتجاجى . وتبجح على أنها باقية مع كل ربة عينية . عينية حنونتين تملقان بوجهى فى شرودا لكنها رغم كل شىء كانت تحرص على قضاء العصر معى ، فتتعمد المرور أمام باب غرفتى - ساعة رجوعها إلى المدرسة - وتخطب أمها بصوت عال ليبلغ مسامى ، حتى ادعوها إلى .

والواقع أنى لم أستشر الضيق من إقبالها على صحبتى بهذا الحماس العظيم ، بل كنت أشجعها على ذلك غاية التشجيع ، حتى أنى قبلت حين سألتنى ذات يوم فى إلحاح أن أدرسها اللغة العربية فى فرسى السابعة . فقد كنت آمل أن تصرفنى صحبتها عن الصديقات اللاهيات . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كنت أحس نحوها بحب صادق ومودة عميقة ، وحملى ذلك على ملازمتها دواماً ، بل دفنى إلى استصحابها فى زهاى خارج الدار ، حتى صار من السالوف أن تكون فلورا برقتى كما رغبت فى زهة أو قصدت إلى سينا . وكم كانت تحس بالغبطة والسرور لتلك الزهات ، فكانت شمة سحرية من السادة تتوهج فى أحماقها فيفيض وجهها بشراً وهناءة غير أنى فى الحقيقة لم أكن دائم الرضى عن هذه الحياة ، بل كانت تملكنى أحياناً مشاعر أسى ورمضى حين صاح إلى حياتى اللاهية . لكننى كنت أسارع إلى الافلات من شرك تلك المشاعر فيماودنى الاطمئنان وهدوء البال .

وذات أمية كنت أتزه مع فلورا فى شارع فاروق المحاذى للنيل فالتفت بصدى محمدى ، وكنت لم أره من مدة بعيدة ، فهتف فى دهشة ممزوجة بالفرح: ماذا جرى لك يا سامى ؟ لم يعد بوسع أحد أن يراك .

فأجبهته معتذراً : إنها ظروف الحياة لهاها الله .. حقا إنى

أن استشرت الوحشة فى هذه الحياة الرتيبة ، وحتت إلى دنيا اللاهو والرح . وخشيت أن يفلت الزمام منى فعدت العزم على الاندماج فى الأسرة لو أد هذا الحنين . وقد شجنى ما لمست فى الزوجين من طيبة ونبل على المضى فى قرارى قدر الامكان .

وشرعنا ننتظم كل مساء فى جلسة هادئة لتتحدث فى شتى شئون الحياة . وكنت أنصرف إلى الزوجين أثناء تلك الجلسات غير معنى بتوجيه الحديث إلى فلورا . وأحسب أنى لست ملوما على ذلك السلوك . تتذكر أنى مررت على بابها يوماً كان تبديه من جهود أقرب إلى النفور . وكان يحدث لى أحياناً أن ألغفت نحوها عفوفاً فأراها معلقة الأنظار بوجهى وهى سارحة الفكر ، وتلقى عينها بمينها وسرعان ما تقض طرفها فى ارتباك وتملو وجنتها حمرة خفيفة .

وضقت بجمودها ذرعاً فسألت والديها عما يدعواها إلى النفور منى ، فأكدالى أنها شديدة الحجل وأنها فى حاجة إلى مدة كافية ريثما تألف صحبتى . فحزنى هذا الكلام على أنها خطة جديدة للتقرب إليها ، وبدأت أولها نصيباً كبيراً من عنايتى . وسرعان ما أخذت فلورا تتحرر من جمودها شيئاً فشيئاً وإن لم يزالها خجلها الشديد .

« إن فلورا طفلة عجيبة » . تلك هى الفكرة التى نبتت فى أحماقى وتسربت إلى جوارحى رويداً رويداً حتى تشبع بها كيانى . إنها عجيبة بوجهها البرى ، وخجلها الساذج وسلوكها الثير . وكل ازدودت بها معرفة اشتدت محبتى لها . شىء معين فيها كان يضرم حى . أهى تلك النظرة الوداعة التى تطل من عينها دواماً ؟ أم تلك الحمرة الوردية التى تصبغ وجنتها أبداً بمينفة الحياء ؟ أم تلك اللامح المذبة التى تبرأق التمبير عن طهارة الطفولة وجمالها السامى ؟ لا أدرى بالضبط ، ولعل تلك الأسباب مجتمعة كانت تمجيبها إلى . وحمدت الله حين بدا لى أن نفورها القديم منى قد اختفى تماماً . وعجبت كيف ألفت صحبتى بتلك السرعة الدهشة حين غمرتها باهتمامى . وأصبح من الواضح أنها تحمل لى بين جنبها مودة عميقة . لكن هدوءها المتناهى وخجلها الشديد كانا يطبعان حركاتها بطابع التزمت . ولعل الشىء الوحيد الذى كان يملن من تلك الهبة هو عينها ... عينها المتعاطفتان على

مشتاق لرؤيتك .

فصاح مزاحماً وهو يرمى فلورا بنظرة استغراب : لملك مشغول بهذه الطفلة .. ولكنني لا أرتضى لك هذا المصير الأليم بعد مفاخراتك الزائفة مع الفيدالسان .

وربت على كفتي مداعباً وانصرف مع رفاهه ضاحكاً . وتابرت التنزه مع فلورا وعباراته الساخرة تخرج في أعماق .. لملك مشغول بهذه الطفلة .. لملك مشغول بهذه الطفلة .. أنا مشغول بهذه الطفلة .. هل وهى وهى على هذه الطفلة .. لم أعد أعرف معنى المرأة الفاضحة .. فلورا تسرق شبابي .. فلورا تسرق شبابي .. فلورا تسرق شبابي ..

مرت أيام وأنا مرهق الذهن بتلك الأفكار الثائرة . وعادت صور الماضي الغريبة تراود مخيلتي في الخياح . وضجت أعماقي بالسخريفة المرة .. ما أتفه عقلي وأسخف سلوكي ا كيف بددت وقتي طيلة هذه الأسابيع برفقة طاملة سفيرة نابدأ الفتيات الناضجات اللواتي يقدرن لي كل ما نتوق إليه نفسي ؟

ثم انحطمت القبول التي كبلت بها رغباتي منذ أن هيبت على دار الأميرة الفرنسية، وجددت الصلة بنفر من صديقاتي القديمات وتبعاً لذلك تغير منهج حياتي . لم يبق لي هناك وقت للانضمام إلى أفراد الأسرة في جلساتهم اليومية بعد العشاء . ولم يعد بإمكانى أيضاً أن أرى فلورا عسراً، إذ طهقت أغادر الدار قبل أن تزوب من المدرسة . وبدأت أحاول أن أقتصد في الوقت الذي أفضيه في المنزل فأقصره على القراءة والدرس - واقتضاني ذلك أن أتجنب الاجتماع بفلورا جهدهم إمكانى .

لم يمبأ الزوجان بالانقلاب الذي طرأ على حياتي كثيراً ، أما فلورا فأنقلبت حياتها تبعاً للإنتلابى . وطبيعى أنني لم أعد أراها كثيراً في عمدي الجديد لأعرف الشيء الكافي عن حياتها ، لكنني أستطيع أن أعلن ذلك الحكم وأنا مطمئن إلى حقيقةته . فقد أدركت كل شيء من عينها .. ذلك الكتاب المفتوح الذي كانت صحائفه تمكس سدى عواطفها في صراحة وصدق . تمكر البحر الصافي العميق الأغوار بنظرة حزينة ، وامترجت العذوبة الفيضانية في الوجوه البرى بمسحة كدرة . كان يكنى أى شخص أن يلقي عليها نظرة عابرة ليوقن أنها طفلة معذبة . وأحسب أن عواطفى

قد تمحجرت تلك الآونة فلم يترنى عذابها كثيراً . أو لعل اندفاعى في نيار اللهو كان يستغرق كل اهتمامى . فلورا .. تلك الطفلة العذبة .. أية قسوة كان ينطوى عليها قلبى لأندفع في إيلاهم مشاعرها دون أدنى اكتراث ؟ كان لا بد لها أن ترانى وإن لم أعد أدعوها . وبدأت تنسل إلى غرفتي في خطوات مضطربة وتقف أمامى وهى خافضة النظر . وأرفع رأسى وأنظر إليها في شيء من الضيق ، فتبادرنى قائلة بلسان متلهم : الا يمكننى أن أحدثك عن المدرسة ؟

فأرد عليها في لهجة مبرمة : من فضلك يا فلورا .. في وقت آخر .

فتمكر صفاء وجهها بتقطيعة ا ككتاب وتلتوى شفتاها ، ثم تنسحب بهدوء وفي عينيها نظرة كبيرة . أما اللرس المربنى فقد باعدت بين مواعيده حتى أصبح في حكم المهدم . لكنني لم أكن دائم القسوة معها ، بل كنت أجيبها إلى - مؤالها أحياناً ، فأصبحها في زهة أولى الدنيا ، وأن اعتذرت عن طلبها في غالب الأحيان ومحناتها من عذاب الخجل مالا تستطيع حمله .

وذات أمسية غادرنا دارالدينا بعد مشاهدة فلم غرامى ، وسلكنا شارع سليمان باشا عائدين إلى المنزل . وكانت فلورا تسير إلى جانبي والمرور ينير وجهها ، وهى صامتة تأسفة كأنها تحت سلطان قوة خفية او نجاة التفتت إلى في تردد وسألتنى بصوت راعش واللم يندفع إلى وجهها لاهباً : ماذا يعنى وقوع المرأة في غرام الرجل يا سامى ؟

ففتارت إليها دهشاً، ثم أدركت على الفور أن عنف المواقف في « اللم » قد أثار فضولها . فقلت ب لهجة متلطفة : لا تشجلى الأمور يا عزيزتى فلورا .. هذه عاطفة يصعب على الصغار فهمها ، وستدركين معناها - عندما تكبرين - من تلقاء نفسك . فقاطعتنى ب لهجة احتجاج : ولكنني أستطيع فهمها الآن فأنا فتاة كبيرة . أنت لاتعرف عمري الحقيقي .. إن لي خمسة عشر عاماً . فأجبتها مزاحاً : حقا ؟ لقد كنت أمتد أنك في الثالثة عشرة .

عمرك . انت تبدين أصغر من سنك كثيراً . فأصاحت فرحة : هذا صحيح .. إننى أبداً أصغر من سنى كثيراً ، وفي وسعنى أن أفهم كما تفهم الفتيات الكيديات . فقلت لها في لهجة جدية : إسمى يا فلورا دعى السؤال عن

انطلوت فلورا على نفسها ، وبانت تحتجب عن عيني دوماً .
ولم أعد أراها إلا على مائدة المشاء وهي مقبلة على طعامها مودة
المدن خافضة النظر . وحين تلتقي أنظارنا عرضاً يحمر وجهها
وتلتمع عيناها ويزوج بصرها عن وجهي في قلبي ورائبناك .
وأيقنت أنها عادت إلى نفورها القديم مني ، فقد أصبحت كل
حركة من حركاتها ركل لفتة من لفتاتها تبع عن هذا النفور ،
ولكن عينيها ظلنا مشحونتين بأسى عميق ووجهها مغلفاً
بكتابه قاسية .

ومضت الأيام وأنا مشغول بصديقتي اللاهيات غير عابئ
بأسر فلورا . وظلت هي تحرص على الابتعاد عني فتوازرن في
اهمالها ، إلى أن حل ذلك المساء . ووجعت إلى المنزل على غير ميعادي ،
وما كدت أفتح باب غرفتي حتى ألفتني وجهها لوجه أمام فلورا .
ألم يحدث لك أن فاجأت لصاً بهم بمنادرة المكان بعد أن سرق
أمن محتوياته ؟ ! تلك هي حالتها بالضبط حينما باعها بدخولي .
تقاصت ملامحها وا كفهروا وجهها واشتعلت عواطف الخوف والحيرة
والحجل في عينيها القلقتين . ماذا بك يا فلورا ؟ ! ما الذي يروءك ؟ !
خطوت نحوها في بشاشة فاندفعت صوب الباب بلمحة طائر سجين
ففتح له القفص سهواً ... كلاً ، لن أذكك نخرجين . وقبضت على
ذراعها وأنا أقول في لطف : مرحباً بك يا فلورا ... لماذا
تسرعين ؟ !

فانطلقت تناضل لتخليص ذراعها من قبضتي وهي تردد
بصوت مختوق : دعني أذهب ... أرجوك ، دعني أذهب .
لكنني أجلسها على أحد المقاعد عنوة وأنا أقول في رقة :
مهلاً يا عزيزتي فلورا ... لا داعي للمجلة ..
فصاحت في لهجة فاضبة وهي تتملل في مقدمها : أنا لست
عزيزتك ... دعني أذهب .

فواصلت كلامي ضاحكاً : لا تتورى يا فلورا ، فأنا أعلم أنك
فاضبة علي . والآن أنيبتني ؛ أجتت لتزوريني أم لتستردى كراسة
اللفة العربية ؟ !

فرمقتني لحظة بنظرات متاملة ، ثم غمضت بلمحة متبصرة :
أعطيني دفتر اللفة العربية .

مثل هذه الأمور حتى تكبري ، فأت الآن طفلة صغيرة لا يصح
أن تلتقي هذه الأسئلة على الآخرين .

وما كدت أفرغ من قولي حتى سمعت صوتاً يهتف في حرارة :
« هالو ساي ! » . والفت ، وإذا بي أمام صديقتي « سوسو » التي
كنت قد أخفت ، وعدي معها قبل أيام « وراحت « سوسو » تنفخ
في عتاي متهمة إياي بتفضيل صديقتي الأخريات بينما
انطلقت فلورا ترقبها في غيظ واشتزاز . واستطعت أن أخلص
من عتابها أخيراً بالاتفاق على موعد آخر ، فاصرفت وهي تحذرن
من اخلاف الموعد مرة أخرى . وتابت السير مع فلورا في صمت ،
وعبثاً حاولت وصل الحديث بيننا ، إذ تمسكت فلورا بصمتها وقد
ارتسم على وجهها شتيت من عواطف الحبيبة والمرارة والنعيق .

* * *

تغير سلوك فلورا تجامى منذ تلك الليلة تغيراً عجيباً ولم تمد
تحتفظ لي بمودتها القديمة . فقد صادف في اليوم التالي أن كان
ميماد درسها العربي ، فاستدعتها إلى غرفتي لتستمع إلى الدرس .
ولشدها دهشت حين قرأت على صفحة وجهها دلائل قسوة وعنف
ولحت في عينيها نظرة صارمة يمتزج فيها النضب بالنفور بالأسى .
وانتصبت أمامي شاحمة الأنف مقطبة الوجه ، فنظرت إليها متعجباً
وقلت باستغراب : اجلسي يا فلورا ... ألسنت مستعدة
لدرسك العربي ؟ !

نأجابتني بلمحة جامدة : كلا ..

فسألها في دهشة : لماذا يا فلورا ؟ ! يجب أن أعرف فالأمر يهمني
فانفجرت صائحة في غضب : انت تخدعني فالأمر لا يهمك
لأنني لم أعد أحب هذه اللفة . لا أحبها . لا أحبها .. ولن
أستمع إلى درس عربي آخر .

وروعتني ثورتها فلبثت أرقبها صامتاً مشدوهاً . وقبل أن
أستفيق من ذهولي هرعت إلى غرفتها وأوصدت وراءها الباب .
وقصدت إليها من فوري واستويت إزاء الباب بعد أن تقرت عليه
في رفق . هي ... هي ... ماذا ؟ ! أفتبكين يا فلورا ؟ ! اساد الصمت
برهة ، ثم تنهتني إلى سمي صوت مرتعش بهمس : « أرجوك ... اذهب »
فقفلت راجماً إلى غرفتي تتنازعني مشاعر الألم والاشفاق .

مكن آخر ، بل إلى إحدى المستشفيات الخاصة حيث سقطت
صريع المرض .

أنفتت بضعة أيام في المستشفى لا أكاد أصحو حتى أقعد وعي
و كنت أرى - كما فتحت عيني - فلورا وأبوها إلى جانب سريري .
وفي خلال أيام اشتداد المرض مررت بفترة قامة لا أكاد أتذكر منها سوى
أخيرة بسنة يغفلها ضباب كثيف . ومن بين ذلك الضباب الكثيف
يبرز وجه فلوريا قويا واضحا بلون شاحب وعينين قلفتين وقسمات
تتفجر غمما وأسى . ولا أذكر متى حدث ذلك وفي أية ساعة من
النهار أو الليل ، ولكن الذى أتذكره أننى سحوت على صوت
بكاء عتيق ، وفتحت عيني في صعوبة فطالعتنى صور أشخاص
ملتهفين حول سريري . لم أستطع بادىء الأمر أن أميز أحدا منهم ،
إذ بدأ أمام عيني كالأطياف . ثم تركزت ملاحظتهم شيئا فشيئا
حتى تبيئت فيهم الطيب وفلورا وأبوها . لكن عيني تعلقنا بوجه
واحد من وجوههم هو وجه فلورا . كانت الدموع تنحدر على
خديها في غزارة وصوت نجيحها يثير في القلب أعمنى الشجن .
وهالتي أن أراها شملة ملتهبة من الحزن والألم ، قابضت لها .
وحيث حدثت ما لا يمكن أن يبرح ذاكرتى مدى الحياة . انطلقت
تضحك في فرح جنونى وهى تمدق في وجهى كالمحبولة والدموع
تنهمر من عينيها مدرارا . وتناهى إلى صياحها كأنه آت من بعيد
وهى تهتف بصوت منهدج : « إنه لن يموت ... لن يموت ... ألم
ترويه كيف فتح عينيه وابتسم ؟! لن يأخذ هذه الله ... إنه ليس
شريرا ... سيشفى بعد أيام قليلة وسأراه كل يوم ... أليس كذلك
يا ماما ؟! لن يموت ياربى ... لن يموت » . ثم ابتعدت الصوت
المتحسرج عن مسامى وبهتت صورة وجه فلورا المائلة أمامى حتى
لم أعد أتبين أو أسمع شيئا .

وتلك هى الذكرى الوحيدة التى ظلت واضحة في خيالى أيام
الغيبوبة . ثم انقضت تلك الأيام وبدأت أتوب إلى رشدى ، وما
كان اسمدى بالنجاة حينما أنبأنى الطيب أنه يئس من حياتى حتى
عملة ذلك اليأس على مصارحة الأسرة الفرنسية بنهايتى الحتمية .
وأنه سيدجداً إذ خاب ظنه أخيراً .

فانجهت إلى المكتب صامتاً ومضيت ألقب الكتب والدفاتر
وهى ترمقنى بنظرانها المهمة . وحين قدمت إليها الكراسة
حدقت في وجهى ملياً ثم قفزت على قدميها نائرة وانتهت على
الكراسة تمزقها بأسنانها وهى تصرخ في لهجة معذبة : إنى
أكرهك ... أكرهك ... أكرهك .

وأقت الفصاصات على الأرض في عنف ومرقت من الباب !
وتهاقت على القعد مذهولاً وصراخها يدوى ، أذن ... تكبرهين ؟!
لماذا ؟! وأى دافع ساقها إلى غرفتى إذن ؟! ولماذا امتلكها
الفرع ساعة رؤيتى ؟!

وبدأ سلوكها الغريب يثير في رأسى عشرات الأسئلة ،
وظفقت أحسب له ألف حساب . والظاهر أننى إنسان من طراز
خاص يشذ عن الانسان المادى . فم أننى أفلحت في التخلص من
صحابتها ، ومع أنها غابت عن أفق حياتى ، كما شاءت وغبى ،
إلا أننى بدأت أحس إثر تلك الليلة بالضيق والحلق من تصرفاتها
الغريبة . واكتسبت حاسة جديدة لنقد سلوكها نجاها . لماذا
تتهرب من لقاءى ؟! ولماذا تحاول أن تنأى عنى ؟! أنكرهنى حقاً
كما أعلنت ذلك ؟! بلها من طفلة مزعجة . كأن المرء لا عمل له في
الحياة سوى العناية بها ، فان لم يفعل ، فليس له أن يتلقى كراهيتها .
طفلة شاذة تثير الأعصاب بتصرفاتها السخيفة . إذ التقيت بها في
ردهة المنزل فرت من أمامى كما يفر الجمل من الذئب . وإن
جلست إلى واليها اعتسكت في غرفتها ولم تبارحها إلا بعد أن
أخلى المكان . لماذا ؟! أأنقلب وحشاً مفترساً ؟! أين تلك الودة
التي كانت تغمرنى بها ؟! إن الحياة لا تطاق في هذا السكن ..
لا تطاق . مالى يشدنى إليه ؟! أخأت القاهرة من منازل مريحة ؟!
يجب إن أتركه . . يجب أن أعادوه إلى نزل آخر .

انهيت إلى ذلك القرار أخيراً لكننى لم أدرك دوافعه الحقيقية
حتى الآن . لماذا ضايقتى ابتعاد فلورا عنى مع أننى كنت راغباً
فيه ؟! وماذا يصيرنى أن تحتجب عنى عيني طفلة لا شأن لى معها ؟!
بل لماذا دفعتنى ذلك إلى اعتزام الخروج مع أننى سميت لابمادها
بنفسى ؟! لا أدري بالضبط - والذى حدث بعد ذلك أن
رغبتي تحققت عقب أيام قليلة ، فتركت السكن ، ولكن لا إلى

في لهجة نأمة : فلورا ماتت .. فلورا ماتت .. فلورا ماتت ١٠٠
ثم لاحت منى التفاتة إلى زوايا الغرفة فلمحت الهدايا التي
كنت قد قدمتها إليها في شتى المناسبات . اقتربت منها بخطى
ذاهلة ، وجعلت أقبها بين يدي وخيال فلورا مائل أمامي وسمى
يتجاوب بتلك العبارة النأمة . واصطدمت يدي بصورة فوتوغرافية
صغيرة ، فنظرت إليها في إهمال ، وإذا بي أمام صورة لي كنت قد
فقدتها من أمد بعيد ... !

وداهني خور غريب وأنا أهدق في الصورة مشدوها ، ومرى
ضئف شديد في ساقى فلم يعد بوسمها حلى ، واحتبس الهواء في
صدرى حتى شعرت بالاختناق . وبجأة تهافت على الأرض وعيناي
تعتلان بالدموع !

شاكر فهداك

القاهرة

مجلس مديرية قنا

الإدارة الهندسية القروية

تقبل عطاءات لفاية ظهر يوم
١٧ - ٥ - ١٩٥٠ من عملية
التركيبات الكهربائية للإنارة والاجراس
للمجموعتين الصحيتين بناحيتي دندرة مركز
قنا والدير مركز إسنا .

ويقدم الطلب على ورقة عئفة
فئة الثلاثين مليا للحصول على
الشروط والواصفات من الإدارة الهندسية
القروية بقنا نظير دفع مبلغ
٥٠٠ مليم بخلاف مائة مليم
أجرة البريد

ويمكن الاطلاع على الرسومات والبيانات
اللازمة من الإدارة الهندسية القروية
بقنا .

٤٦٤٢

وانتظرت في لهفة زيارة فلورا وأبويها ، فطال انتظاري حتى
استبد بي القلق . فرجوت الممرضة سميرة - التي تشرف على تخريضي -
أن تقوم باستجلاء الأمر . ولشد ماذهلت حين أعلنت لي في اليوم
التالي أنهم اعتذروا عن زيارتي بكثرة المشاغل واستولى على شعور
بالاستياء . والفاق ولبثت أياما عدة أتوقع زيارتهم في شوق متدفق
وأنا أتق على نفسي عشرات الأسئلة الحائرة دون أن أبتكر لأحدها
جوابا معقولا . ثم أخذت أكثر مني بالأمر بتضال يوما عن يوم
إلى أن بلغت الرأية التي : « أليس بيني وبين سميرة واستنرة - كل
اهتمامي » .

مرت الأيام بطاء كسالى وانزاحات عني سمات المرض تجاه
بشائر الصحة . وكنت قد عقدت النية على مبارحة المستشفى في
صباح اليوم التالي حين أقبل على رسول من صاحب المنزل يئبني
برحيل الأمرة الفرنسية إلى فرنسا ويطلب إلى إخلاء الدار من
ساعى . وللمرة الثانية اجتاحتني الدهول والاستغراب ، وانطلقت
أسائل نفسي عن سبب هذا التصرف في حيرة وغضب .

وفي صباح اليوم التالي قصدت المنزل لأتقل متاعى إلى أحد
الفنادق ريثما أعثر على مسكن آخر . صعدت إلى الدار بصحبة
البواب ليصاعدني في حزم الحقائب . وما كدت أجتاز الباب حتى
هاجمتني وحشة قاعة وطفئت على مشاعرى أحاسيس تفيض
بالشوق والأسى . دخلت غرفتي وأنا أجيل النظر حول حزيناً
أسفاً . وبينما انصرف البواب إلى ترتيب كتيبي وملابسي في الحقائب
وقفت مشلول الحركة استعرض مشاهد حياتي منذ أن دخلت
الدار حتى غادرتها إلى المستشفى . وبجأة وجدتنى ألفتت إلى البواب
وأساله بلهجة مرة : لماذا رحلوا يا عبده !؟

فتوقف البواب من العمل ، ونظر إلى في حزن وأجابني بلهجة
كشيبة : أفلا تعلم يا أستاذ سامى ؟ لقد ماتت فلورا فسكره أبواها
المعيشة من بعدها في مصر . ماتت ميتة الهمة تحت عجلات
« المترو » بينما كانت تستقله صباح أحد الأيام إلى المدونة .

وصمت لحظة ثم أردف يقول بلهجة ارتياب : لقد سمعت من
البعض أنها انتصرت من أجل شاب أصيب بمرض خطير أفقد
الأطباء كل أمل في انتقاذ حياته وأنها لم تسقط من العربة قضاء
وقدرا ... ولكنها مجرد إشاعة كاذبة ولا شك .

وأصبت يدهول أدنى إلى التعجب وأنا استمع إلى البواب ،
وتبلد ذهني حتى تنفر على أن أنابح مايقوله . وطفقت أمس